رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود

١٢

الإشتراكيّة الماركسيَّة

وَمقاصدُهَا السَّيئَة

تأليف

الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود

رئيسُ المحاكم الشرعيَّة والشئون الدينيَّة

بدولة قطر

الطبعة الثالثة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

طبع بموافقة رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر

تبرع الشيخ
عبدالله بن زيد آل محمود
بحقوق التأليف حسبة لله تعالى



مقدّمة

إن دين الإسلام هو دين العدل والكمال، ودين النظام في الأحكام، صالح لكل زمان ومكان، قد نظم أحوال الناس في حياتهم أحسن نظام، فلو أن الناس آمنوا بتعاليمه، وانقادوا لحكمه وتنظيمه، ووقفوا عند حدوده ومراسيمه، لصاروا به سعداء، ولما حصل بينهم بغي ولا طغيان، ولا اعتداء في استباحة بعضهم أكل أموال بعض، بحجة الاشتراكية المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

والله سبحانه قد فاوت بين خلقه في الغنى والفقر، كما فاوت بينهم في العقول والأجسام، لتتم بذلك سعادتهم، وتنتظم به أمر حياتهم وراحتهم. فيخدم الغني الفقير في جلب ما يحتاجه الناس من صغير وكبير وجليل وحقير، من كل ما لا يستطيع الفقير الحصول عليها، باستقلاله بنفسه أو أمثاله، كما أن الفقير يخدم الغني فيما هو من اختصاص عمله، وما

هو من أسباب وسائل كسبه ومعيشته، من كل ما لا يستطيع الغني على مباشرتها بنفسه، فتتم بذلك سعادة الجميع، وتنتظم به أمر حياتهم، إذ لو أغناهم كلهم لأفقرهم كلهم، ولكن اقتضت رحمة الله بهم، أن خلقهم متفاوتين في الخلق والرزق.

وانظر إلى قوله سبحانه: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾.

وقد قيل:

النـاس للنـاس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

إن دين الإسلام بريء من الاشتراكية الشيوعية الماركسية، التي تحرّم تملك الفرد أو الأفراد، وتقضي بتعميم أخذ جميع أموال الناس، ومصادر ثروتهم بغير حق، وخاصة التجار الذين استباحوا سلب أموالهم، ثم أجلسوهم على حصير الفاقة والفقر، يتقاضاهم الهم والغم، وأخذوا يتمتعون ويتنعمون بأكل أموالهم بغير حق.

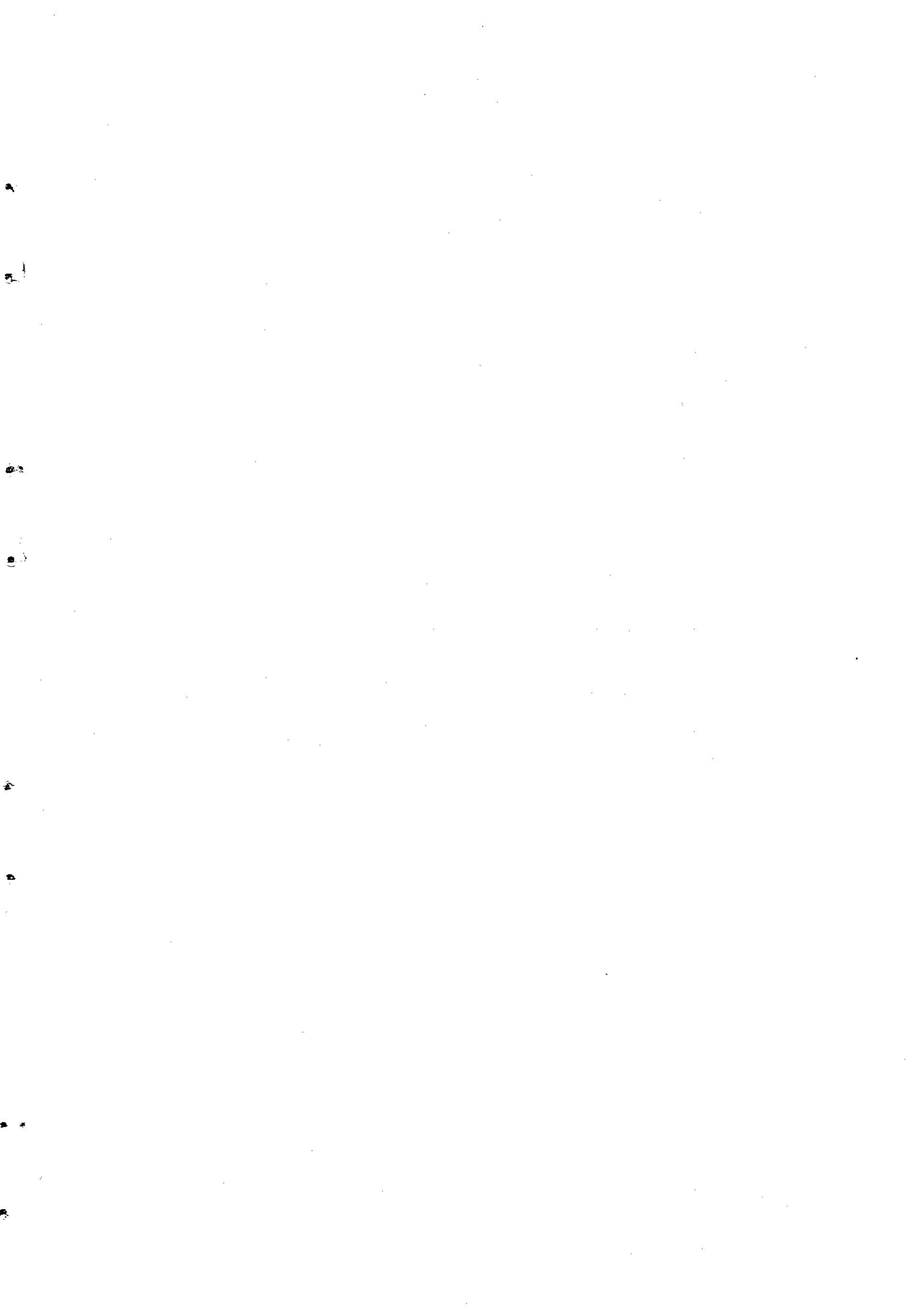
والله يقول: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾.

والنبي ﷺ كان يقول في المجامع العظام: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام» لكون المال عديل الروح.

ويقول: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس منه». كما أن الإسلام بريء من الرأسماليين الماديين الذين جعلوا التحليق بتجارتهم وصناعتهم وزراعتهم، هي ربهم وإلٰهم فصرفوا إليها جلَّ عقولهم وجُلَّ أعمالهم وجُلَّ اهتمامهم، وتركوا لأجلها فرائض ربهم من صلاتهم وزكاتهم، ونسوا أمر آخرتهم، وقد نهى الله المؤمنين، أن يكونوا أمثالهم. فقال سبحانه: ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾.

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾.

المؤلف





الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ومن همزات الشياطين.

أما بعد: فإنني رأيت مقالة خرجت من صاحبها بصورة سؤال سائل لرجل اشتراكي قائلاً: إننا نود أن نسمع رأيك في عقيدتك السياسية، وفي الدين، وفي العروبة.

فأجاب قائلاً: أحب أن أعتقد بأنني اشتراكي بطريق الذي يقول: العدل هو الشيء المتناسق. فأنا اشتراكي بهذا المعنى أُومن بالتناسق وأبحث عنه. والظلم الاجتماعي هو ضد التناسق. والاشتراكي يضمن أساساً لمجتمع فاضل وإنسان سليم. فأنا أُومن بهذا، أو أتمنى أن يتحقق في الوطن العربي.

فهذا هو نص عقيدة هذا الرجل الإشتراكي؛ والذي يتمنى تعميمها في الناس. وليس هذا ببدع من خاصة هذا

الشخص، وإنما هي فكرة سائر الاشتراكيين الشيوعيين، الذين يحبون أن يشيع تعميمها بين الناس، وسائر البلدان.

وأقول: إن الله سبحانه قد نَصَبَ على أعمال الناس علامات يعرف بها صلاحهم من فسادهم، وحسن قصدهم، من سوء اعتقادهم. فمن أسرّ سريرة، أظهر الله سريرته على فلتات لسانه، ونزوات أقلامه. يقول الله: ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول﴾[1].

فهذا القائل يستدل بالترهات، ويتعلق بقلب الحقائق في المعقول والمنقولات يدعو إلى الاشتراكية، ويحبذها للناس، ويحب التناسق، وأن يتساوى الناس في الغنى والفقر، لكون التناسق في اللغة التساوي، يقال: تناسقت أسنان فلان ــ أي تساوت ــ قاله في الصحاح.

ويسمي الاشتراكية بالعدل، ويسمي التفاضل بين الناس في الغنى والفقر هو الظلم الاجتماعي، ويتمنى أن

---

(١) سورة محمد: ٢٩-٣٠.

تسود الاشتراكية في الناس، وأن تتحقق في البلدان العربية.

فهذا غاية وبغية ما يتمناه أشباه هذا الإنسان، وقد حيل بين العير وبين النزوان.

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السمٰوات والأرض ومن فيهن﴾[1]. وإن مقامنا في ديننا، ونصيحة أمتنا، وولاية أعمالنا، توجب علينا القيام بحماية الدين، ودحض حجج المبطلين. إذ لولا من يقيمه الله لذلك لفسد الدين. ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[2]. ولن نهمل ــ إن شاء الله ــ حراسة ثغر ديننا، ورد الأباطيل على أهلها، ونحن على المرمى قعود وجثَّمُ.

إن الدعوة للاشتراكية الماركسية مبنية على الغش والخداع، والتلبيس، والتدليس، والتضليل، لأن من طبيعة دعاتها، والمتزعمين لفكرتها، المبالغة في عملية الخداع والكذب، وقلب الحقائق على غير ما هي عليه، وجعل

(١) سورة المؤمنون: ٧١.

(٢) سورة البقرة: ٢٥١.

الباطل حقاً، والحق باطلاً ــ وإلا فإنها فكرة هدم للحضارة والعمران، والصنائع والأعمال، تهلك الحرث والنسل، وقد حاربتها الدول الراقية في الحضارة والصناعة والعمران، من اليهود والنصارى وغيرهم، قبل أن يحاربها المسلمون.

إن أكثر المقلّين من المال من أمثالهم يحبون ويتمنون في أنفسهم زوال نعمة الغنى عن المنعم بها عليهم، ليساووهم في الجلوس معهم على حصير الفقر والفاقة. كما قيل: شنشنة أعرفها من أبي أخزم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾[1]، غير أن المسلمين يمنعهم إيمانهم عن تحقيق هذه الأمنية، لاعتقادهم حرمة مال الغير. ويقول الله: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾[2]. فهؤلاء الاشتراكيون، يحرّمون الغنى على أهله الذي هو عرق جبينهم، ويبيحونه لأنفسهم.

فالعقلاء من المقلّين، يبالغون في كتمان هذا التمني، وعدم إظهاره، احتراماً للحكومة التي تمنع أشد المنع الجهر به، والدعوة إليه، لكونه ينافي عقيدة دينها، ويناقض سياسة

---

(١) سورة المؤمنون: ٧١.

(٢) سورة النساء: ٥٤.

نظمها ومجتمعها، لكون الاشتراكية تقوم بتقويض دعائم الأعمال والأموال والمعامل، وتطبع في قلوب الشباب الفتنة، والخيانة، وذهاب الأمانة. ومضرتها على الفقير أكبر منها على الغني، وبعض من يتمنى الاشتراكية لا يتحمل الكتمان، فيكشف ذيله عن مساوىء ليله، فيجهر بما يعن بفكره، وما يتمناه في نفسه، ولم يبال بمنع الحكومة، ولا الجهر بما تكره، فهو يعرف تمام المعرفة، أن الحكومة لا ترضى بالتظاهر بهذا الشيء ولا الدعوة إليه، بتحسينه للناس، لكونه يثير مشاعر المسلمين، ويطبع في شبابهم الفتنة، ويستدعي الأسوة السيئة.

فقد يقول الكاتب الثاني أكبر مما قاله الأول، فيتسع الخرق على الراقع، وكم كلمة أثارت فتنة، وجلبت محنة، والمتصدي للدعوة إلى الاشتراكية الماركسية وبتحسينها للناس من كتَّاب الصحف والمجلات، المتحللين عن عُقَل الدين وعن الأدب مع المسلمين، فإنه يترتب على ولاية عمله مفاسد دينية واجتماعية وأدبية تنافي عقائد الدين وسياسة الدولة، وأن المتسنم لهذه المناصب يجب أن يكون لديه عقل يعيش به في الناس، ويردع به جهل الجاهل.

إنه قد كان للناس في بداية ظهور هذه البدعة الإلحادية حالة غير حالتهم في نهايتها، فقد بدأوا يتراجعون عنها بعدما عرفوا مضرتها وذاقوا مرارتها، ومن ذاق منها عرف، ولأن أكثر الهمج السذج يظنونها تعميماً للغنى، ثم بدا لهم فيما بعد أن غايتها وحقيقتها هو تعميم للفقر، بحيث تجعل الغني فقيراً وتزيد الفقير فقراً إلى فقره، لحيث أنها قد كشرت بأنيابها لجميع الناس وبطريق الحس والمشاهدة نرى أن كل بلد دخلتها الاشتراكية فإنها تهوي بها إلى الدرك الأسفل من الفقر والفاقة والقلّة والذلة، وعلى أثرها تنقطع موارد الثروة عن البلد، بحيث يعز كل شيء وترتفع أقيام المعيشة وتقل النقود بأيدي الناس، بحيث ينقطع عنهم الوارد والصادر، فهي أكبر جريمة تقاد إلى البلد، وخير الناس من وعظ بغيره. ولينظر العاقل إلى حالة مصر قبل ثلاثين سنة ــ أي قبل أن تدخلها الاشتراكية ــ ثم ينظر إلى حالتها الآن، ثم ينظر إلى سوريا قبل ثلاثين سنة، ثم ينظر إلى حالتها الآن، ثم ينظر إلى حالة العراق قبل ثلاثين سنة، ثم ينظر إلى حالتها الآن، يجد الفرق الواسع والبون الشاسع بين الأمس واليوم.

ونعود إلى مناقشة الرأي القائل بالتناسق بين الناس، أي التساوي الذي هو بزعمهم أنه العدل. وقد وقع الأمر من الاشتراكية المشهود لها بالتجربة والمشاهدة على الضد من ذلك، وأنها جور وظلم، وأنها حقيقة في تساوي الناس في الفقر والفاقة وحتى الحكومة المتزعمة لهذه الفكرة تصبح فقيرة والأغنياء فقراء، بحيث لا يعول أحد على أحد، ولو فرضنا بأنها تبتز أموال الناس وتختص بها لنفسها وأعوانها، فإن هذا المال يكون سريع الزوال منزوع البركة مقروناً به الشؤم والفشل، لكونه أخذ بغير حق، وفي الغالب أنها تتقاسمه وتختص بالأفضل منه زبانية الفكرة لخاصة أنفسهم، قبل أن يصل إلى مخازن الحكومة.

وهذه الإشتراكية قد كشرت بأنيابها للناس، فعرفها العام والخاص، وأخذ العلماء وعقلاء الدول حتى من غير المسلمين يحذر بعضهم بعضاً عن مقارفتها، ويتكلمون فيها وفي مضارها وسوء عاقبتها، عن طريق المشاهدة والتجربة، لا عن طريق الأخبار الكاذبة. ولما ظهرت هذه الاشتراكية الماركسية في مصر قبل كل بلد فزع منها النصارى أشد الفزع خوفاً من سراية عدواها إلى بلدانهم لعلمهم أنها تقوّض

بالتجارات وتوقع في الأزمات، ويترتب عليها فساد المصانع والأعمال والعمال، لهذا نشروا في صحفهم بأن هذه النحلة سيستجيب لها أكثر الغوغاء والهمج ولن يقوم في صدّها أعظم من شريعة القرآن الذي فيه ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾[1] لهذا يجب نشر تعليم ذلك في المدارس والصحف والإذاعات.

وهذه الاشتراكية الماركسية لا شرقية ولا غربية، بل هي شريعة إلحادية ليست من شريعة الدين ولا من شريعة اليهود والنصارى، تنادي بالقضاء على الحكام والرؤساء والرأسماليين حتى تكون الاشتراكية هي دعامة المجتمع، ويصير الناس لهم كالعبيد المسخرين يعملون، والماركسية وأعوانها يأكلون، لأنهم بمقتضى نظام فكرتهم يحكمون بتأميم الأراضي ونتاجها من الحبوب، والأشجار والنخيل.

ويحكمون بتأميم ملكية الإنتاج من الحيوان والمعامل والعقار والمصانع، ويحكمون بتأميم الإرث فلا يرث الابن أباه، بل هم الذين يرثون كل أحد، ويسلبون الملكية من

---

(١) سورة النحل: ٧١.

كل أحد إلى حالة أنهم جاءوا إلى صاحب مصنع للسكر ليؤمموه وجميع أمواله، فأمروه بالتخلي والخروج من معمله، فطلب منهم إعارة سيارة توصله إلى بيته فمنعوه وقالوا له: امشِ على رجليك.

إن هذه الاشتراكية تخدع الفقراء وتزرع في قلوبهم الآمال والأماني الكاذبة، حيث يوهمونهم بأنهم يساوونهم بالأغنياء ويلوحون لهم بكلمات العطف واللطف ليكثروا بهم سوادهم، والغوغاء في كل زمان ومكان هم عون الظالم ويد الغاشم، فالفقراء يزرعون في نفوسهم الأماني والآمال، ويحصدون الخيبة والحرمان، فهم يمصون دماءهم حتى أن الفقير لا يتحصل على كامل أجرة عمله وعرق جبينه إلا بأخذ شيء منها، ثم هم يقولون لهم على سبيل التخدير والتفتير: إن هذا زمان هدم، وسيأتي بعده زمان البناء. ثم يستمر هذا الهدم وهذا التعليل والتمليل حتى تقوم الساعة.

وفي النهاية ذهبت كل هذه الآمال والأموال التي سحبوها من أهلها، وتقاسمها زبانية الفكرة، وقضت بانقطاع سبل التجارة، وتعطلت المعامل، والعمال. ووقف الناس حيارى. وصار ضرر هذه الفكرة على الفقراء أشد

منه على الأغنياء، وأخذ زعماء هذه الفكرة وحكامها، يمدون أيديهم لطلب العون والمساعدة من حكام المسلمين العرب، الذين يحترمون أموال الناس، كما يحترمون دماءهم، لذهاب الحاصل الذي بأيديهم وانقطاع المتصل. وقد قيل: قليل متصل، خير من كثير منقطع.

إن هذه الفكرة: تخالف كل دين كما تخالف الأخلاق، والأنظمة والقوانين. وكما تقضي بتقويض دعائم الأمانة التي عليها مدار معاملة الناس فيما بينهم. فالإشتراكي حينما يرى نعمة أنعم الله بها على أحد من خلقه، فإنه يرى أنه أحق بها وأهلها، فهذا هو السبب الذي يهيج الغوغاء على استجلابها، واستحبابها، والدعوة إليها.

فاليهود والإنجليز وأمريكا وفرنسا والألمان واليابان، لم يحاربوا الاشتراكية لدين يدينون به ربهم، وإنما حاربوها حفظاً، وحماية لمصالحهم، لعلمهم أنها تقوّض بالتجارات، وبالعمران، والمصانع، والمعامل، والأمانات وسائر أمور الحياة، وتوقعهم في الأزمات والشدات.

لهذا أخذ الغارقون فيها من قديم زمانهم يتسللون منها

لواذاً، ويتحررون من قيودها شيئاً بعد شيء، لتفشّي العطالة والبطالة في أعمالهم، لكون العامل للغير لا ينصح كنصحه في عمله لنفسه، فإذا أردت تحقيق ذلك، فاسأل عن الكتلة الشرقية الواقعة في حدود حبائل الشيوعية الاشتراكية، تجدها تصف نفسها بأنها في جحيم، وعذاب أليم، وبضدها الكتلة الألمانية الغربية، تجدها تصنف نفسها بأنها في نعيم، والعلة هي علة الابتلاء بالاشتراكية، والسلامة منها.

سافر رجل من تجار قطر إلى أمريكا، وكان يحمل معه شنطة بداخلها نقود كثيرة من الجنيهات الاسترلينية، والدولارات، فحين نزل من الطائرة، ركب مع صاحب تكسي أمريكي، ثم نزل هذا التاجر عنه لعزمه النزول في أحد الفنادق، ونسي الشنطة بما فيها من النقود وحين ذكرها صفق بإحدى يديه على الأخرى، وكان لا يعرف السيارة، ولا يعرف رقمها، ولا شيئاً من علاماتها. فبعد أن نظر الأمريكي في سيارته، نظر إلى الشنطة فيها، ثم وضعها عند أحد السفراء، فبعد أن نشر الخبر عن فقدانها، بُشِّر بها صاحبها، ووجدها على حالتها، لم ينقص منها شيئاً، فكان

من الذين قال الله فيهم: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾[1].

إنه لو تسممت فكرة هذا الأمريكي بالاشتراكية، لاعتقد أنه أحق بها وأن سهم صاحبها بقية ما عنده من التجارة. ولها نظائر كثيرة. ولكنه يعتقد حرمة مال الغير، فتعفف، حتى وجدها صاحبها.

إن العرب المسلمين، في جميع الأعصار والأمصار، لا يعرفون هذه الاشتراكية، وليست لهم بخلق، ولا دين، حتى أتيح لها الرئيس جمال عبد الناصر، فأثار فتنتها، وحاول تعميمها في البلدان العربية. فأصدر قراره بالإلزام بالعمل بها في مصر وذلك عام (١٣٨١ هـ الموافق لعام ١٩٦١ م)، وسماها الاشتراكية الديمقراطية التعاونية، وهي تتمشى على طريقة الاشتراكية الماركسية، حذو النعل بالنعل، فعملت عملها بمصر في التدمير، وسوء التدبير، وأورثت فتنة في الأرض، وفساداً كبيراً.

ثم انتقلت إلى بعض البلدان العربية الأخرى، فكان

---

(١) سورة آل عمران: ٧٥.

أول ما ظهرت الاشتراكية في مصر قبل كل بلد. وقد بدأوا الآن في التحرر عنها، وفي محاربتها بالتحذير منها، لكونها أهلكت منهم الحرث والنسل، وقضت بتخدير الهمم، وغل أيديهم عن العمل، فأين ما يقوله هؤلاء ــ من أنها تضمن أساساً لمجتمع فاضل، وإنسان سليم ــ وقد وقع الأمر منها بالضد من ذلك.

صنع رجل مأدبة حافلة في لبنان، ودعى إليها الرؤساء والفضلاء، وعند جلوس القوم عليها، ورأوا فيها من كل ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، قال أحد العقلاء لذلك الرجل الذي صنعها، وكان يعشق فكرة الاشتراكية: إن صاحبك «جمال» لن تجد عنده هذه النعمة والخير الكثير؟ فقال: نعم أنا أعرف ذلك. ولكني أكتفي بالشاهي مع التساوي.

فهذه فكرة الكثيرين من المقلّين، وكأنها نكتة كامنة من داء الحسد فيهم يحسدون الأغنياء على ما آتاهم الله من فضله، ويتمنون زوال نعمتهم، وإن لم يصيبوا منها شيئاً، لكن المقلّين من المسلمين، يتغلبون على إرادتهم، ويعصمهم إيمانهم بالله ــ عز وجل ــ لاعتقادهم حرمة مال الغير، وأن

مال المسلم على المسلم حرام، لكون الدين: هو أعظم وازع إلى أفعال الطاعات، وأقوى رادع عن مواقعة المحرمات.

فقول بعضهم: إن العدل هو الشيء المتناسق، والظلم الاجتماعي ضد التناسق، يشير بهذا على الاعتراض على الله في حكمه، حيث فضل بعض الناس على بعض في الرزق. ويسمي هذا التفاضل ظلماً، لا يثنيه وجل، ولا يلويه خجل، وقد قيل: «نجوم الظاهر، تدل على خبث الباطن، وقبح الجفا ينافي الحفا» وسبق حكم الله حكم الاشتراكيين ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السمٰوات والأرض ومن فيهن﴾ [1].

والله سبحانه خلق الناس متفاوتين في الخلق، والرزق، لتتم وتنتظم بذلك مصالحهم، فيخدم الغني الفقير، بحيث يجلب إليه كل ما يحتاجه من الحاجات، من كل صغير وكبير، لا يستطيع الفقير الإتيان بها، كما أن الفقير يخدم الغني فيما هو من اختصاص عمله، فينتظم بذلك مصالح الجميع، ويعيشون متساعدين متكافلين.

---

(١) سورة المؤمنون: ٧١.

الـنـاس للـنـاس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

لأن الله سبحانه، لو أغنى الخلق كلهم، لأفقرهم كلهم، ولكن رحمته بهم قضت تفاوتهم في الغنى، والفقر، يقول الله: ﴿ والله فضَّل بعضكم على بعض في الرزق ﴾[١]، وقال: ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾[٣]. فدلت هذه الآيات على أن هذا التفاضل رحمة من الله لهم، وأنها لا تستقيم نظام حياتهم بدونه. ولهذا سماه الله رحمة.

وكان السلف يكرهون أن يقول الإنسان: اللهم أغنني عن خلقك. لكونه لا غناء للإنسان عن الخلق ما دام حياً، وإنما يقول: اللهم اغنني عن شرار خلقك.

---

(١) سورة النحل: ٧١.

(٢) سورة الإسراء: ٢١.

(٣) سورة الزخرف: ٣٢.

فكما نفى ــ سبحانه ــ التساوي بين خلقه في أمر الدنيا، وأن منهم الغني والفقير، فكذلك نفى التساوي في أمر الدين، وفي الجزاء على الأعمال، فجعل منهم المسلم، والكافر، والتقي، والفاسق، فهذا حكمه في خلقه ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[1]. قال سبحانه: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[2]. وقال: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾[3]. وقال: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾[4]. فأخبر ــ سبحانه ــ أن مساواة الناس كأسنان المشط في الدنيا والدين، أنه منتف ومتعذر، وأنه من الحكم السيء الذي ينزِّه الله عنه، إذ لا تتم سعادتهم، وتنتظم حياتهم، إلا بمقتضى التفاضل بينهم، وأنشد الناظم ابن عبد القوي في هذا المعنى فقال:

---

(١) سورة المائدة: ٥٠.

(٢) سورة السجدة: ١٨.

(٣) سورة القلم: ٣٥-٣٦.

(٤) سورة الجاثية: ٢١.

تـبـارك ذو الأحـكـام والحكـم التي
تحـار عـقـول الخـلـق فيهـا فتهـتـدي
فمـن حـكـمـه ابـداؤنـا وأمـورنـا
ذوات ارتـبـاط لا ذوات تـوحـد
فـكـل امرىء لا يسـتـقـل بـنـفـسـه
فـسـن لنـا سـبـل التـعـاون فاهـتـد
يـعـلـق أطـمـاع الأنـام بمـكـسـب
لـه يـركـبـون الهـول في كـل مـقـصـد
يهـون على هـذا اقـتـحـام بـنـفـسـه
وهـذا بمـال رغـبـة في التزيـد
لـيـأتي بـأرزاق يـعـز حـصـولهـا
على عـاجـز عنهـا ضـجـيـع بمـرقـد
فـسـبـحـان مـن أبـدى وأتـقـن صـنـعـه
وجـل تـعـالى عـن أبـاطـيـل مـلـحـد

إن دين الإسلام مبني على حماية الدين، والأنفس، والأموال، والعقول، والأعراض، ومن قتل دون ماله فهو شهيد. وخطب النبي ﷺ في مجمع الناس يوم عرفة فقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في

شهركم هذا في بلدكم هذا»[1]. وهذا غاية في تعظيم حرمة مال الغير، وأنه لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس منه، وقد قال النبي ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فمن قطعت له من مال أخيه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار فليستقل أو ليستكثر»[2].

وقد أنزل الله في كتابه المبين ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾[3] ولأجله حرَّم الله الإسراف والتبذير في الأموال، لكون المال عديل الروح وقوام الحياة. كما شرع الله الحجر على السفهاء والمبذرين الذين لا يحسنون حفظ أموالهم ولا تثميرها، وقد قال سبحانه: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾[4]، أي تقوم بها أبدانكم، وتقوم بها بيوتكم، ويقوم بها مجدكم، وشرفكم.

---

(١) رواه مسلم عن جابر.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود بلفظ آخر.

(٣) سورة البقرة: ١٨٨.

(٤) سورة النساء: ٥.

والسفه: هو خفة الرأي. ونقص في العقل، علامته كونه لا يحسن توفير ماله، ولا تثميره، فيقع بتبذيره في الفقر الذي هو الداء الأكبر، والموت الأحمر، لكونه يصير العزيز ذليلاً. وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة»[1]. وقال: «اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم». وقال: «إن الرجل إذا غرم أثم، حدث فكذب، ووعد فأخلف». لأن المال ترس المؤمن في آخر الزمان، ولا يستغني عنه في حال من الأحوال. وإن الكريم على الإخوان ذو المال. فلو عبس الفقر في وجه الرجل، لعبس في وجهه أهله وأقاربه.

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وإننا متى سألنا عن أقوى مادة يعتمد عليها اليهود في قوتهم، ونظام حكومتهم، مع العلم بقلة عددهم، وعدم وجود منابع البترول عندهم، التي هي عماد ثروة الأمَّة في هذه الأزمنة.

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود.

أجابوا: بأن عمدة قوتهم تتركز على المال، إذ أنهم أكثر الناس مالاً، وأكثرهم تجاراً، فكانوا يساعدون حكومتهم بالمال على سبيل الاستمرار. فمتى كان الأمر بهذه الصفة: فإنّ العقل والرأي لا يستجيز إضعاف قوتنا بالاشتراكية التي حقيقتها ذهاب الحول، والقوة، والثروة من الأمة، إذ هي بمثابة سحب الدم من الجسم، حتى نبقى ضعافاً، نحافاً، تجاه صولة عدونا، وقوته، فنكون كالمعينين لهم على هدم مجدنا، وعدم قدرتنا على الصمود أمام قوة عدونا، إذ لا مجد في الدنيا لمن قل ماله.

خداعُ زعماء الاشتراكيّة الماركسيّة

في تسميَة نحلتهم بالإسلاميّة

إن الشريعة الإسلامية ــ أي الكتاب والسنة ــ هي عدل الله في أرضه، ورحمته لعباده، نصبها حكماً قسطاً، تحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، من الأقوال، والأعمال، والاعتقاد، فتقطع عن الناس النزاع، وتعيد خلافهم إلى مواقع الإجماع. وإن هذه الاشتراكية العلمية الماركسية، هي اشتراكية «ماركس» اليهودي[1].

---

(١) كارل ماركس: ألماني الجنسية من أسرة يهودية، ولد سنة ١٨١٨ م في بلدة «تريف» وكان كسولاً أنانياً يطلب المال من أبيه دون أن يعمل وسمّته أمه باسم «الطفيلي»، واشتهر بكذبه وعدم وفائه بعهوده، ووضع آراءه الاقتصادية في كتابه «رأس المال»، وأصدر مع صديقه «انجلز» البيان الشيوعي المشهور الذي تضمن الأسس التي تقوم عليها الحركة الشيوعية.

وحين ابتدأ في ابتداعها استنفر لها العمال المقلّين من المال، وأوهمهم بأنه سيساويهم بالأغنياء، فاستجابوا لدعوته مسرعين، لطمعهم في مشاركة المكثرين. ومن العادة أن الغوغاء هم عون الظالم ويد الغاشم في كل زمان ومكان.

وعلى أثرها اشتد الفقر، والبؤس بالناس، حتى صار بعضهم ينهب بعضاً، وفقدت الأمانة، وذهبت التجارة، وانقطعت السبل، وعدمت الحاجات الضرورية، فضلاً عن الكمالية، وغلت الأطعمة، وازداد بها الفقير فقراً إلى فقره، فانسل دعاتها عنها حين علموا بأنه لا حياة، ولا معيشة معها، وكادت أن تموت وتدفن في أجداثها كل السنين الطويلة.

حتى تصدى لبعثها «جمال عبد الناصر» حاكم مصر في زمانه، فبعثها من أجداثها حتى رسخت في مصر، وصدر الأمر بتعميم تأميمها.

ثم انتشرت إلى بعض البلدان العربية، وهي تنادي بذهاب الثروة، وقوة الأمة، وهي نفس الاشتراكية العلمية الماركسية، بلا اختلال ولا خلاف فهي شيوعية محض. وإن

هذه الاشتراكية مبنية على الخداع، والتغرير، والتضليل، في بداية دعوتها، ونهايتها، يدلسون على العوام، وضعفة العقول والأفهام، بأنها اشتراكية إسلامية، وأن دين الإسلام اشتراكي، وأن عمر بن الخطاب اشتراكي، وأن أبا ذر اشتراكي، تخرصاً، وأحاديث ملفقة، ما أنزل الله بها من سلطان.

والأصل في ذلك كله هو: تضليل عوام المسلمين، وإطفاء ثائرة غضبهم، وليكثروا بهم سوادهم. والحق: أن دين الإسلام بريء من هذه الاشتراكية الماركسية، لأن دين الإسلام يحترم أموال الأفراد والجماعات. كما يحترم دماءهم، ويقول: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس منه».

أما زبانية هذه الفكرة، فإنهم يحرمون هذه الأموال على أهلها التي هي نتاج قوتهم، وعرق جبينهم، ويبيحونها لأنفسهم، فلا تسأل عما كانوا يفعلون.

فليس الإسلام بدين الاشتراكية الظالمة، إنما هو دين العدل والكمال، قد نظم حياة الناس أحسن نظام، في حالة

الشَخص بانفراده، ومع أهله، وفي مجتمع قومه، بالحكمة، والمصلحة، والعدل. والإحسان، لأنه الدين الصالح لكل زمان ومكان، كفيل بحل مشاكل العالم، ما وقع في هذا الزمان، وما سيقع بعد أزمان، فلا يقع بين الناس مشكلة من مشكلات العصر، كهذه الاشتراكية الماركسية، إلا وفي الشريعة الاسلامية بيان حلالها من حرامها، كما أنه لا يأتي صاحب باطل بنحلة باطلة، إلا وفي الشريعة الإسلامية بيان بطلانها، وطريق الهدى من الضلال فيها، فهو كفيل بسعادة الناس في دنياهم وآخرتهم.

فلو أن الناس آمنوا بتعاليم دين الإسلام، وانقادوا لحكمه وتنظيمه، ووقفوا عند حدوده ومراسيمه لصاروا به سعداء، ولما استباح بعضهم أموال بعض، بحجة الاشتراكية المبتدعة، التي ما أنزل الله بها من سلطان. إن الناس لو تفقهوا في الإسلام وعملوا به على التمام، لهداهم إلى التي هي أقوم، ولما وقعوا في فرق الاختلاف، والانحلال، كفرقة الاشتراكية الماركسية، وفرقة الشيوعية والبعثية. وفرقة القومية العربية، وفرقة البهائية، والقاديانية، قد استبدلوا هذه الأسماء ومسمياتها بدل الإسلام والدين، الذي سماهم الله به

المسلمين المؤمنين عباد الله.

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[1]، فنظام دين الإسلام بمقتضى اسمه، ومسماه، وعقائده، وقواعده، هو صراط الله المستقيم، فلا ينسب إليه شيء من هذه المذاهب والنحل المبتدعة، والسبل المتفرقة، التي عناها القرآن بقوله: ﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[2]. لأن هذه النحل التي انتحلوها، واستحلوا سلوكها، قد أبعدت بهم عن سبيل الله والدين، وإن كانوا يتسمون به بألسنتهم مع مخالفتهم له بأعمالهم وعقائدهم.

وكـلاً يـدعـي وصـلاً لليلى
ولـيلى لا تـقـر لهـم بـذاك

فالإسلام ليس محض ألعوبة، وأماني كاذبة، بحيث يقول الشيوعي: إن الشيوعية إسلامية. والاشتراكي

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

الماركسي يقول: إن الاشتراكية إسلامية. وكذا القومية العربية والبعث، والقاديانية. وما سيبتدع من النحل، ويسمى باسمه. والله يقول: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾[1]، لأن: «للإسلام صوىً ومناراً كمنار الطريق، يعرف به صاحبه». فأحكامه، وأركانه وفرائضه، وفضائله، معروفة مشهورة، ولن تتوفر لأي نظام، أو أي نحلة غيره متى أحسن الناس فهمه، وتطبيقه، واتباعه.

ومتى قصّر أهله في فهمه، وعدم العمل به، فلن ينسب إليه هذا النقص والتقصير. إذ أن كثيراً من الناس في هذا الزمان، يتسمون بالإسلام، وهم منه بعداء، وينتحلون حبه، وهم له أعداء، يعادون بنيه، ويسعون في تقويض مبانيه، لم يبق معهم من الإسلام سوى محض التسمي به، والانتساب إليه، بدون عمل به، ولا انقياد لحكمه، فكانوا ممن قال الله فيهم: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم

---

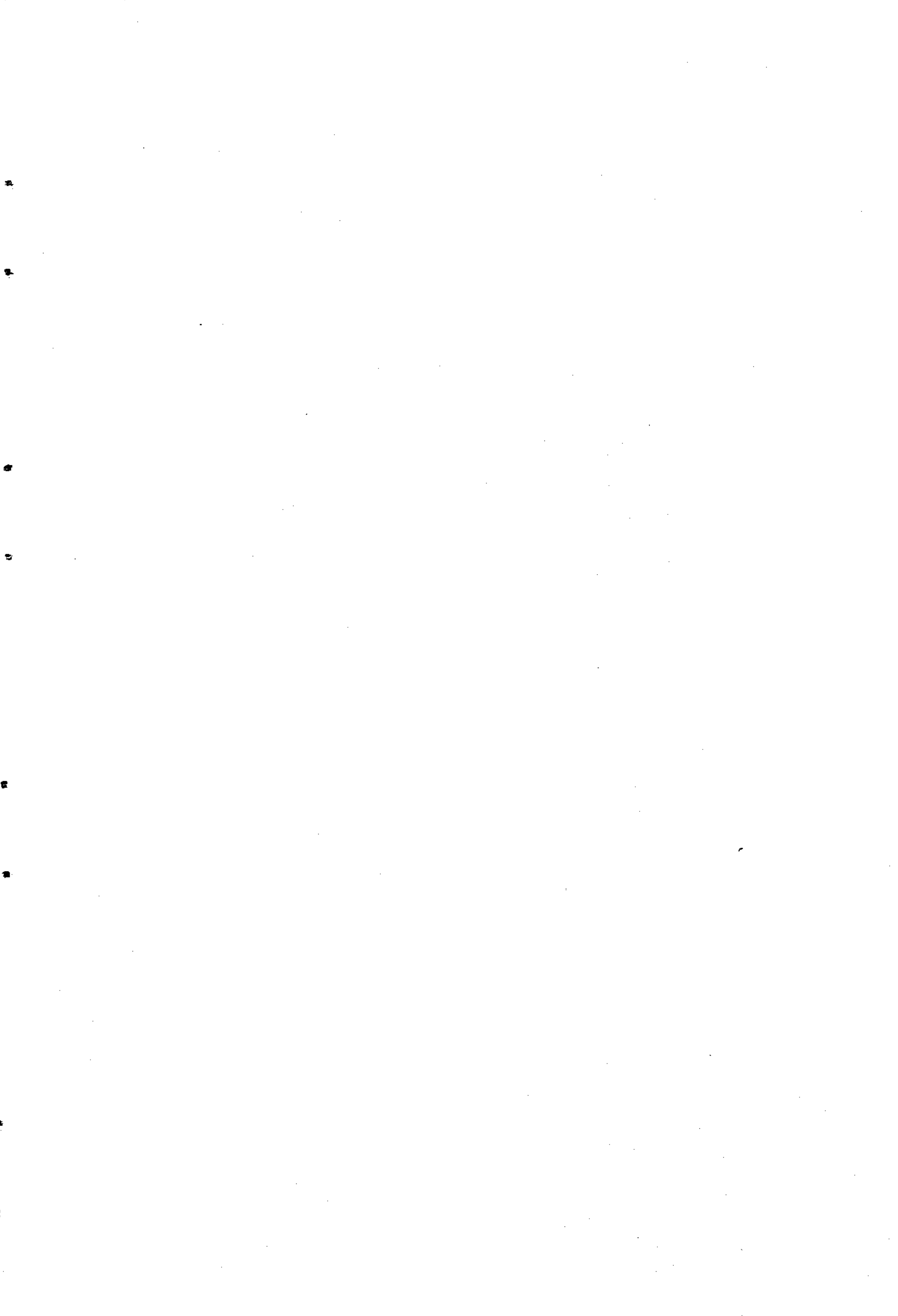
(١) سورة النساء: ١٣٢.

الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾[1].

فاعملوا بإسلامكم تعرفوا به، وادعوا الناس إليه، تكونوا من خير أهله، فإنه لا إسلام بدون عمل.

هو الإسلام ما للناس عنه
إذا ابتغوا السلامة من غناء
إذا انصرفت شعوب: الأرض عنه
فبشر كل شعب بالشقاء

(١) سورة البقرة: ٨-١٠.



حكمة محنة

الإبتلاء بالفقر والغنى

إن الله سبحانه يبتلي أقواماً بالغنى لينظر: أيشكرون أم يكفرون. كما يبتلي أقواماً بالفقر لينظر: أيصبرون أم يضجرون ويفجرون. وليس كل من أنعم الله عليه بالغنى، يكون لكرامته، وعزته عند الله، ولا كل من ابتلاه بالفقر يكون لهوانه، ومذلته عند الله، فحاش وكلا، فحكمته ـ سبحانه ـ أعلى وأجل، يقول الله سبحانه: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ـ أي ضيق عليه رزقه ـ فيقول ربي أهانن، كلا﴾[1]، أي كلمة ردع وزجر عن هذا القول، وهذا الإعتقاد، فقد يعاقب الله أقواماً بالغنى، لبغضه لهم، كما يرحم أقواماً بالفقر، لمحبته لهم، كما قيل:

---

(١) سورة الفجر: ١٥-١٧.

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وفي الحديث: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن»[1].

إن النفوس مجبولة على محبة الغنى، والسعي في حصوله، وتوسعه، لكونه لا غناء للمرء عن فضل ربه ورحمته، يقول الله: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾[2]، والخير هو المال الكثير، فترى الشخص يتحمل المشاق المتعبة، ويخوض الأخطار الموحشة، في سبيل كسب المال، وتوفيره للأهل والعيال، حتى أنه ليحرم نفسه من لذته، وإنفاقه في سبيل حسنته، من أجل توفيره لذريته، مع العلم أن مجرد الغنى ليس هو السعادة المنشودة في الحياة، إلا إذا سلك به صاحبه مسلك الإعتدال، بأن يأخذه من حله، وأن يؤدي واجب حقه، ولم يشغله ماله عن عبادة ربه، وما لم يكن كذلك،

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ومسلم من حديث صهيب الرومي.

(٢) سورة العاديات: ٨.

فإنه عذاب عليه في الدنيا، وعقاب عليه في الآخرة، والمكثرون هم المقلّون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا، وهكذا، عن يمينه وشماله. يقول الله: ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾[1].

والله سبحانه يحمي بعض عباده عن الدنيا مع محبته لهم كما يحمي أحدهم حبيبه عن الطعام والشراب مع شهوته له.

وفي بعض الآثار يقول الله: «إن من عبادي من لا يُصْلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يُصْلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، إني أدبّر أمر عبادي لعلمي بهم، إني بهم خبير بصير».

ومن الدعاء المشهور: «اللهم ما أعطيتني مما أحب فاجعله عوناً لي على ما تحب، اللهم ما زويت عني مما أحب، فاجعله فراغاً لي فيما تحب».

فمن واجب المؤمن، ان يسعى في سعة رزقه، ويطلبه من

---

(١) سورة التوبة: ٨٥.

أسبابه، والدخول عليه من بابه، ثم يرضى، ويسلم، ويقنع بما آتاه الله من قليل وكثير ولا يمد عينيه إلى ما متع به غيره. فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب، يقول الله: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾[1].

وقد أمر النبي ﷺ بما ينبغي أن يحفظ به الرجل نعمته على قلتها، فإن من قرّ عيناً بعيشه، نفعه، فقال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر بأن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[2]، وقد قيل:

ما كل ما فوق البسيطة كافياً
فإذا قنعت فكل شيء كافي

يقول الله: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾[3].

---

(١) سورة طه: ١٣١.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(٣) سورة التوبة: ٥٩.

إنها متى سكنت القناعة قلب الشخص، ولو كان فقيراً، فإنه يجد بها لذة الدنيا، وفرحها، وسرورها، فيتمتع بحالة مرضية، وأخلاق كريمة زكية، حتى يكون أسعد بالدنيا باللذة والسرور فيها من التاجر الجموع المنوع، الذي كلما ازداد جمعاً، ازداد هلعاً ومنعاً، لكون الغنى ليس بكثرة المال، وإنما الغنى، غنى النفس. كما قيل:

أبـلـغ سـلـيـمـان أني عـنـه في سـعـة
وفي غنى غير أني لـســـت ذا مـــال
شــحــي بــنــفسي أني لا أرى أحــداً
يمــوت هــزلاً ولا يــبق على حـــال
والـفـقـر في الـنـفس لا في المـال نعرفه
كــذاك الـغنى في الـنـفـس لا المـال

ومن دعاء النبي ﷺ أنه يقول: «اللهم قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، وأخلف عليَّ كل فائتة بخير».

إن أكبر عامل ثار بالاشتراكيين على محاولة استحلال مال الغير بغير حق، هو عدم صبرهم، وعدم قناعتهم على ما آتاهم الله من فضله، فحاولوا النزو على مال الأغنياء،

حرصاً منهم على زوال نعمتهم عنهم، وحسداً لهم، كي يستأثروا بها لأنفسهم خاصة ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾[1].

ألا قـل لمـن كـان لي حـاسـداً
أتـدري على مـن أسـأت الأدب

أسـأت على الله في حكمـه
لأنـك لم تـرض لي مـا وهـب

(١) سورة النساء: ٥٤.

عَقيدَةُ الإشتراكية الماركسيّة وَسُوء عَوَاقبهَا

عَلى الدّين والدولة

إن الإشتراكية الماركسية، هي الشيوعية المادية، حقيقة، وعقيدة، تنكر وجود الرب، ووجود الملائكة، وتكذب بالأنبياء، وتكذب بالبعث بعد الموت، وتكذب بالجنة والنار، وتقول: ما هي إلا حياتنا الدنيا، وقد ذكروا ذلك في البيان الشيوعي الأول، حيث قالوا: «أنه لا إلٰه والحياة مادة».

وتستعمل الشيوعية في سبيل تحقيق ذلك: الثورة على الأخلاق، والنظم. ثم استعمال الإبادة للجيل المنافي لهذه الفكرة، وخاصة الأمراء، والزعماء، والعلماء، ليستجدوا جيلاً لا يعرف معروفاً، ولا يؤمن بدين، ويعتقدون بأن الدين أفيون الشعب.

وإنما اشتدت كراهية الناس لها، وخاصة المسلمين، لكونها فكرة إلحادية تحاول أن تجتث أصل دين الإسلام، وتمحو معالمه. ثم ازدادوا نفرة عنها بعد أن عرفوا مساوئها السيئة، وكونها تجلب للناس الفقر والبلاء، والخراب، والدمار، مما رآه الناس، وسمعوا به في البلدان الاشتراكية الماركسية نفسها، فاشتد بغضهم لها، ونفرتهم عنها، لكون الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها.

إن البلدان العربية استعصت عن استجابة داعية الاشتراكية، من أجل إيمانها بالله، وتمسكها بدينها الذي هو دين الإسلام، لأنها وإن دخل عليها شيء من المبادىء الهدامة الجديدة التي علقت بأخلاق بعضهم، من سراية العدوى من الأخلاق الأوروبية. لكنهم ما زالوا ولم يزالوا متمسكين بالإيمان بالله وحده. ومحبة دين الإسلام وإن كان الكثير من بعض البلدان لا يقومون بأداء فرائضه على التمام، لكن سلطان الدين ثابت وراسخ في نفوسهم، وأنه السبب الأعظم الذي به عزوا ونهضوا، وفتحوا وسادوا، وبلغوا المبالغ كلها من المجد والرقي فهو الهداية المهداة لجميع خلقه، فمنهم من آمن به، ومنهم من صدَّ عنه؛ ومن أجل قوة سلطان

الإيمان على نفوسهم، وأخذه بمجامع قلوبهم، اشتدت شكيمة العرب المسلمين دون انقيادها لدعوة الاشتراكية الماركسية، ودون انتشارها في بلدانهم، وحتى الذين ابتلوا بها في بدء ثورتها، أخذوا يقررون مصيرهم في التخلي عنها، والبراءة منها.

وحتى أن البادئين بتبني فكرة الاشتراكية في بعض البلدان العربية، كمصر قد عرفوا تمام المعرفة أن دين الإسلام هو أقوى رادع، وأعظم وازع إلى محاربتها، وعدم انتشارها، لأنه متى قوي سلطان الإيمان في القلب، فإنه يكون أقوى، وأقدر على دَفع ما يعرض له من البدع، والنحل المزيفة، والمذاهب الهدامة، التي تزيغ الناس عن معتقدهم الصحيح، ثم تقودهم إلى الإلحاد والتعطيل، والزيغ عن سواء السبيل.

لهذا أخذوا يحتالون على الناس بدخولها إلى بلاد المسلمين تحت ستار الدين لكونهم يلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون، فجعلوا الدين جسراً، ومنفذاً يدخلون منه إلى قلوب العوام، وضعفة العقول والأفهام، فنشروا في كتبهم وفي صحفهم: أن دين الإسلام هو دين

اشتراكي، وأن الاشتراكية لا تخالف الدين، بل إنها مستمدة من دين الإسلام، ثم أخذوا في خداع الناس، زاعمين أن اشتراكيتهم تؤمن بالله ورسله، وكونه لا علاقة لها بالدين، وما هي إلا مذهب اقتصادي في تمثيل الحياة فقط، فهم يحاربون الدين باسم الدين.

استباحوا هذا المكر، والخداع في سبيل نصر مذهبهم، وحتى يصدق بنحلتهم الرجل العامي، والهمج السذج، الذين لم يعرفوا حقيقة الاشتراكية الماركسية، ولم يدرسوا مبادئها، ولا عرفوا عواقبها السيئة، ولا أصولها، وما يدعون إليه، وكل من قويت معرفته بها وبمبادئها وما تؤول إليه، فإنه سيكون أشد عنها نفرة، وأشد لها بغضاً ممن لم يكن له غرض وهوى في أكل أموال الناس بالباطل.

والحاصل: أن مبدأ الشيوعية، من تسميتها بالشيوع، أي الاشتراك في الابضاع ــ في النساء، وفي الأموال. فأظهروا الاشتراكية الماركسية في الأموال وبعد نجاحها يعودون إلى إظهار الاشتراكية في الابضاع. فلا يختص أحد بامرأة دون الآخرين، وينقمون على الزواج الشرعي، بأنه قيد لحرية الأشخاص، واستمتاعهم بتوسعهم فيها.

والمقصود أن الاشتراكية الماركسية، والقائمين بها، والداعين إليها، كلها زيف، وتضليل، وكذب، وفضائحها، وفظائعها، مشهورة ومشاهدة فهي أحدّ آلة في هدم المجتمع وتغييره، وهدم الدين واستباحة حرمات المسلمين من كل ما يتصل بأموالهم، وأخلاقهم، وأعراضهم.

فاعتقاد صحتها، واستباحة ما يترتب عليها، هو كفر بالله. فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يزوّج موليته برجل شيوعي، يعتقد ويستبيح كل ما ذكرنا من عقيدة الشيوعيين، كما أنه لا يجوز لمسلم أن يتزوج بامرأة شيوعية تعتقد هذا الاعتقاد. وكما أن هذا الشيوعي لا يستحق أن يرث أباه المسلم، لكون الكفر يقطع الموالاة والنسب، فلا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، كما حكى الله عن نبيه نوح ــ عليه السلام ــ: أنه قال ﴿رب إن ابني من أهلي﴾[1] ــ أي وقد وعدتني أن تنجيني بأهلي ــ فقال ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾[2]. فبما أن للإسلام صوىً ومعالم كمعالم الطريق، يعرف به

(١) سورة هود: ٤٥.

(٢) سورة هود: ٤٦.

صاحبه، فكذلك الكفر، فإن له معالم كمعالم الطريق، يعرف به صاحبه. وبما أن الإيمان هو اعتقاد وقول وعمل، فكذلك الكفر هو اعتقاد وقول وعمل، والله يقول: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[1].

---

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

التجارة وعموم نفعها وحاجة الدولة والمجتمع اليها

روى الترمذي في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» ورواه ابن ماجة عن ابن عمر بلفظ: «التاجر الصدوق الأمين مع الشهداء يوم القيامة». ولما سئل النبي ﷺ عن أفضل الكسب. قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور» رواه الحاكم في صحيحه، والبزار من حديث رفاعة بن رافع. وقال البخاري في صحيحه، قال قتادة: كان القوم يَتَّجِرُون ــ يعني الصحابة ــ ولكنهم كانوا إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، حتى يؤدوه إلى الله، وفيهم أنزل الله ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ـــ أي من فضل الدنيا وسعتها ـــ والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[1].

فحصلوا بتجارتهم الحسنتين، وفازوا بالسعادتين: سعادة الدنيا، وسعادة الآخرة. فكانت أعمالهم بارة، وأرزاق الله عليهم دارة، فوجود التجارة والتجار بالبلاد، هو رحمة من الله للعباد، لكونهم يجلبون إلى الناس ما يحتاجون إليه، والجالب إلينا كالمهدي علينا، فيتصل الشخص بهم لحاجته فيشتريها بثمن معجل، أو مؤجل إلى ميسرة.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الاحتكار، ونهى عن تلقي السلع، ونهى عن بيع الرجل على بيع أخيه، ونهى أن يبيع حاضر لباد. وقال: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض». وكل هذه النصوص متعلقة بمصالح التجارة، وحمايتها، واحترامها.

ثم إنهم يسدون شيئاً من الفراغ الناشىء عن البطالة، بإشغالهم فريقاً من الناس في عمل تجارتهم. أما عدم وجود

---

(١) سورة النور: ٣٧-٣٨.

التجار بالبلد، فإنه فقر للحكومة، ونكبة على سائر الرعية.

وكان بعض الصحابة معدودين من التجار المكثرين، فمنهم: عثمان بن عفان ـــ رضي الله عنه ـــ فإنه خازن من خزان الله في أرضه. ولما كانت غزوة العسرة ـــ أي غزوة تبوك ـــ سنة تسع، حث النبي ﷺ على النفقة في سبيل الله، وكانت زمن جهد ومجاعة، وانقطاع ظهر، فقال عثمان: عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم حثهم النبي ﷺ فقال عثمان: عليَّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها. ثم حثهم النبي ﷺ فقال عثمان: عليَّ مائة بعير ثالثة بأحلاسها وأقتابها. ثم جاء بصرَّة دنانير كادت كفّه أن تعجز عنها، فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ فجعل رسول الله يقلبها ويقول: ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم. غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت.

فبالله. قل لي من أين أتى عثمان بهذا المال الطائل العظيم، وهو لم يتول إمارة، ولا جباية، ولا عمل حكومة، وإنما هو فضل من الله ونعمة، اكتسبها عن طريق التجارة المباحة في رحلتي الشتاء والصيف.

ومثله عبد الرحمن بن عوف، فقد قدمت له عير من الشام تقدر بسبعمائة بعير، تحمل طعاماً وثياباً وإدماً، فتصدق بها كلها. وهي من فضل كسبه وتجارته. ولما قدم المدينة مهاجراً، قال: دلوني على السوق، فدلوه على سوق بني قينقاع، فتحصل على ربح حسن في ذلك اليوم، فأتى به إلى النبي ﷺ ليريه كيف ربح. فدعا له النبي ﷺ بالبركة في بيعه، حتى لو اشترى تراباً ربح فيه.

ولهما نظائر من تجار الصحابة مثل، طلحة، وزيد بن أرقم، وغيرهما. ولما خط عمر بن الخطاب الكوفة بأمره لسعد بن أبي وقاص، فخط المسجد، ثم خط بجنبه السوق، فقال عمر: هذا المسجد لديننا، وهذا السوق لدنيانا. ومرّ عمر بن الخطاب برجل من الأنصار وهو يعدل ــ يسوي أرضاً ليغرسها ــ فقال له: ما تصنع بهذه؟ فقال: أريد أن أغرسها لأقتنيها وأغتني بها، وأتصدق من ثمرها. قال: صدقت.. صدقت. إن صاحبكم رُحَيْحَة، يقول:

ولــن أزال على الــزوراء أعــمــرهــا
إن الــكــريم على الإخــوان ذو المــال

ولقد رأينا الناس في قديم الزمان مع ضعف حالهم، وقلة مالهم، كانوا يتنافسون، ويتساعدون على الأعمال الخيرية، من بناء المساجد، والمدارس العلمية، وإعانة المرضى، والمضطرين، وكفالة اليتامى كل منهم على حسبه، وعلى قدر رغبته في البذل، ومقدرته، لكون الرجل كثيراً بإخوانه، قوياً بأعوانه. وعادم المال لا يعطيه، وكل إناء ينضح بما فيه.

ويتحمل التجار القسم الأكبر من هذه المساعدة، خصوصاً في النوائب الكبار، التي تنوب البلد، من جهاد وغيره، فهم يتحملون أكبر النفقة في هذا طوعاً وكرهاً، وذلك في زمان كانت الملوك فيه معدمين من الثروة في تلك الحال. مع هذه الأعمال قد عمتهم القناعة والرضى، بما آتاهم الله من فضله، فعاشوا في زمنهم عيشة راضية مرضية، وأخلاق كريمة زكية، قد قنعهم الله بما آتاهم، ومتعهم متاعاً حسناً في دنياهم.

وقد ضعف الآن مع الناس هذا التكاتف والتعاون، لضعف رغبتهم في الخير، والبذل في سبيله، مع كثرة مالهم، فكانوا يحيلون كل شيء إلى الحكومة، ويرتجون منها.

ومن المعلوم، أن الأخوة الإسلامية، والمحبة الدينية، تستدعي العطف والحنان، والصدقة والإحسان، ومساعدة منكوبي الزمان، فإن المسلم للمسلم اخوان، والمؤمن للمؤمن كالبنيان ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1]، فإنّ المسلم كثير بإخوانه، قوي بأعوانه.

لكن هذا التعاون، نجده موجوداً عند مسلمي الهند. فهم متمسكون بأقوى سبب منه لاعتمادهم في فعل الخير على أنفسهم، لا على حكومتهم، لهذا نراهم يقومون بإنشاء المنشآت الخيرية، من بناء المساجد، والمدارس الدينية، والجامعات العلمية، فيقومون ببنائها وتنظيمها بما تحتاجه من فرش وكراسي، وبناء غرف للطلاب الغرباء، ويتكفلون بالقيام بمعيشتهم، ثم إجراء رواتب الأساتذة والمتعلمين، ويحتسبون التعليم بدون راتب، وينشئون المستشفيات للمسلمين، وللطلاب والطالبات. وإذا سألت عن موارد هذه الثروة التي تقوم بهذه المشروعات العظيمة. قالوا: كلها من مساعدة التجار. كل منهم على حسبه، وعلى قدر رغبته

---

(١) سورة المائدة: ٢.

في الخير ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾[1]. حتى أن أحد التجار قد تحمل بجامعة عظيمة، بناءها، وتنظيمها، وأجور الأساتذة والمتعلمين. وإعانتهم وإعاشتهم، كله من ماله الخاص، بعمل دائم مستمر، لا يناله فيه سآمة ولا ملل. وحتى ان أحد البقالين من المسلمين، ليخرج كل يوم صدقة الله، وفي سبيل الله، بقدر ملء كفيه من شعير، أو قمح، أو ذرة، حتى إذا جاءه من يتولى جمع التبرعات، وقال له: آتونا من مال الله الذي آتاكم، دفع له هذا المجموع، ويسأل الله القبول، وإنما ذكرت هؤلاء بحسن أعمالهم، دعوة للناس إلى الأسوة الحسنة بهم.

أما البلدان العربية التي كشرت الاشتراكية في وجوه أهلها، وسضت بتأميم أموال تجارها، فقد كان لهم طور كبير في التساعد والتعاضد والنفقة في سبيل البر والخير، وبناء الجامعات، والمعاهد الدينية، وتحفيظ القرآن، لما كانوا أحراراً في تصرفهم، وبيعهم، وشرائهم.

---

(١) سورة الطلاق: ٧.

أما بعد تحطيمهم، وحجر تجارتهم، فكان أحدهم ينام تحت لحافه من مرض هذا الحجر والتأميم، الذي هو حقيقة في تعميم الفقر، فإذا ذكر لأحدهم شيء من عمل الخير: أومأ بيده وقال: نفسي.. نفسي، اذهبوا إلى غيري. وشح على بقية ماله المحجور عنده، لأن عادم الشيء لا يعطيه، وكل إناء ينضح بما فيه، وخير الناس من وُعظ بغيره.

فمن رزقه الله من هذا المال رزقاً حسناً، فليبادر بأداء زكاته، ولينفق منه سراً وعلناً، حتى يكون أسعد الناس بماله، فإن مال الإنسان ما قدّم. ففيه دليل على فضل كسب المال من حلّه، ثم الإنفاق منه في سبيل حقه. فالمسلمون المؤمنون، يعتقدون بأن الله قد أوجب عليهم في أموالهم حقاً معلوماً، للسائل والمحروم. وأن الفقراء، وسائر من يستحقون الزكاة، لهم حق مفروض في أموال أغنيائهم. ولن يجهد الفقراء أو يجوعوا، إلا بقدر ما يمنعه الأغنياء من الحق الواجب لهم في أموال أغنيائهم.

وقد استباح الصحابة قتال المانعين للزكاة، وعدوهم مرتدين بمنعها، لما أنكروا وجوبها، وزعموا بأن فرضها يموت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأن في المال حقاً سوى الزكاة، كما رواه الترمذي مرفوعاً، وذلك من إعانة المنكوبين، وإعاشة المضطرين، ومساعدة المجاهدين، والنفقة على الأقارب المحتاجين؛ لأن الأخوّة الإسلامية تستدعي العطف والحنان، والصدقة والإحسان، ومساعدة منكوبي الزمان، فإن المسلم للمسلم أخوان، والمؤمن للمؤمن كالبنيان ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1]، والمسلم كثير بإخوانه، قوي بأعوانه، وهذه الأعمال لا تنال إلا بالمال.

وقد ذهب أهل الدثور ــ أي الأغنياء ــ برفيع الدرجات في الجنات. ونعم المال الصالح للرجل الصالح، وأنه ما أنفق أحد في سبيل الحق من زكاة، وصدقة، وصلة، إلا أخلفها الله عليه بأضعاف مضاعفة. وأنه ما بخل أحد بنفقة واجبة في سبيل الحق، من زكاة، وصدقة، وصلة، إلا سلطه الشيطان على صرف ما هو أكثر منها في سبيل الباطل، فبعض التجار لما منعوا زكاة أموالهم وبخلوا بما آتاهم الله من فضله، وقطعوا وشائج أرحامهم، وتركوا عبادة

---

(١) سورة المائدة: ٢.

ربهم سلط الله عليهم الجبابرة الظلمة من الاشتراكيين يسومونهم سوء العذاب ويسلبونهم أموالهم باسم الاشتراكية المبتدعة، ثم يجلسونهم على حصير الفقر، والفاقة يعلوهم الذل والصغار، حتى يتقاضاهم الفناء ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[1]، فالمال المباح، هو بمثابة الترس للإسلام، يستجلب به العدد والعتاد، ويستدفع به صولة أهل البغي والعناد، فهو بمثابة المحور الذي تدور عليه رحى الحرب، ويستعان به في الطعن والضرب، فهو إحدى القوة التي أمر الله بإعدادها عند لقاء الأعداء.

فـلا تـذخـروا المـال لـلأعـداء إنهـمـوا
إن يـظـهـروا يـأخـذونـكـم والمـال مـعاً
لا خير في مـــال وفي نَـــعَـــمٍ
قـد احـتـفـظتم بهـا إن أنـفـكـم جُـدِعـا

ثم ليعلم أن التجارة الممدوحة، هي التجارة المحفوفة بالبر والتقوى، والصدق والوفاء، والموصوف أهلها بكونهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء

---

(١) سورة الشورى: ٣٠.

الزكاة. لكون البر والخير، هو همة المسلم التقي، ولا يضره لو تعلقت جميع جوارحه بحب المال، وكان بعض الأنبياء معدودين من الأغنياء، كإبراهيم، ويوسف، وسليمان ــ عليهم السلام ــ وقد وصف الله صحابة نبيه بأن منهم ﴿ وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ﴾[1]، والذين يبتغون من فضل الله هم الذين يسعون في الكسب وتوسعة التجارة، وقد سمّاه الله فضلاً، كما قال سبحانه ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾[2]، أي بيعوا واشتروا وابنوا، واغرسوا وسافروا، لطلب الكسب في البر والبحر..

فالمسلم التقي يشتغل بجوارحه في العمل في دنياه وقلبه متعلق بالعمل لآخرته والعمل للآخرة هو أكبر العون على حصول الدنيا، وسعتها، والبركة فيها، كما قيل في الحديث، يقول الله: «ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت قلبك شغلاً ولم أسد فقرك». وقد قيل:

---

(١) سورة المزمل: ٢٠.

(٢) سورة الجمعة: ١٠.

المسلم الحق يصلي فرضه
ويأخذ الفأس ويسقي أرضه
يجمع بين الشغل والعبادة
ليكفل الله له السعادة

وقد أجمع العلماء على وجوب تعلم كل ما يحتاج إليه الناس بداعي الضرورة من الصنائع، والغرس، والزرع، وأنهم إن تركوا تعلم ذلك، أثِمُوا.

فكل ما يسمعه الناس في القرآن، أو في الحديث، من ذم الدنيا، أو ذم المال، فإنما يقصد به ذم أفعال الناس السيئة في المال لا نفس المال، فقول النبي ﷺ : «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبرّ وصدق»، وإنما كانوا بهذه الصفة، من أجل أن أكثر التجار لا يبالي من أين أخذ المال، أمن الحلال، أو من الحرام، وأكثرهم يعاملون بربا النسيئة الذي حرمه الإسلام، ونزل في الزجر عنه كثير من آيات القرآن، وقد أجمع العلماء على تحريمه. ولهذا استثنى الله من اتقى الله و برّ وصدق في معاملته، وقليل ما هم، فالتجار الذين يعاملون بالربا، وقد يتجرون في الخمر، ولحم الخنزير، ثم يصرون على منع زكاتهم، فهؤلاء

هم التجار الذين يبعثون يوم القيامة فجاراً، لكون الفجور هو التوسع في أعمال الشرور، وهو منطبق على وصفهم. كما أن الأبرار هم المتوسعون في أعمال الخير، والبر، والصلاح. قال سبحانه: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾، فالأبرار في نعيم في الدنيا وفي الآخرة، والفجار في جحيم في الدنيا وفي الآخرة.

وعلى كل حال: إن وجود التجارة والتجار في البلاد، هي رحمة من الله للعباد، مهما كانت صبغتهم وصفتهم، لكون الناس يتصلون بهم في حاجاتهم وكانت اليهود هم أكثر تجار المدينة زمن النبي ﷺ وقد توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين وسقاً من شعير.

الاحتكار والتسعير:

إن الناس قد يعرض لهم حالات من الحاجات، والشدّات، وارتفاع سعر الأطعمة، والأشياء الضرورية، مما يوجب على الحكومة التدخل في مراعاة تلطيفها وتخفيضها بمقتضى العدل، بدون ضرر ولا ضرار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ: إن

التسعير منه ما هو ظلم لا يجوز، ومنه ما هو عدل جائز.. انتهى.

وقد روى مسلم في صحيحه، عن معمر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: «لا يحتكر إلا خاطىء» والمحتكر الخاطىء هو الذي يشتري الطعام من السوق، ثم يحتكره لإرادة الغلاء.

أما من كان عنده طعام من نخله، أو زرعه، فاحتكره لإرادة الغلاء، فلا يعمه الوعيد. ومثله من اشتراه في حالة الكساد، واليسار، أو اشتراه من التجار، فلا يشمله الوعيد، لكون الحديث: ورد فيمن اشترى طعاماً مجلوباً في السوق، لقوله ﷺ: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون»، ولأن في خزن الطعام في حالة كساده، مصلحة عامة لجميع الناس، بحيث يجدونه عندما يحتاجون إليه، وهو أحسن من كونهم لا يجدونه، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

إن المحتكر: هو الذي يعمد إلى شراء ما يحتاج إليه الناس، من الطعام المجلوب من السوق، فيحبسه عنهم، يريد غلاءه عليهم، وهو ظلم للخلق، لما فيه من الإرهاق،

والتضييق عليهم بزيادة الثمن، ومثله: من عنده طعام غير محتاج إليه، وفي الناس ضرورة وحاجة إليه.

فلِوَلي الأمر أن يكره مثل هذا على بيع ما عنده بقيمة المثل عند الضرورة في حالة حاجة الناس إليه، وفي غير الضرورة لا يجوز إكراهه على بيع ما عنده ولا التسعير عليه في ماله، وعليه يحمل ما رواه أنس، قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: لو سعَّرت لنا يا رسول الله؟ فقال: «إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة في دم، ولا مال» رواه أبو داود والترمذي وصححه.

فما يفعله الناس من تسعير السمك على الصيادين، وهو صيد لا ينالونه إلا بكلفة ومشقة، ويخوضون في حصوله الخطر، وفنون الضرر. فإن هذا التسعير خطأ، لكونه مما يقتضي تنفيرهم عنه، ومن الواجب مساعدتهم لتوفيره.

تولي الحكومة لاستيراد الأشياء الضرورية:

فإن قيل: هل يسوغ للحكومة أن تتولى استيراد الأشياء التي يحتاج إليها الناس بداعي الضرورة، من الأطعمة،

وغيرها . لقصد التخفيض على الناس في سعرها ؟ .

فنقول : إن الحكومة عليها أعباء ، وتكاليف ، وأثقال من الأشغال العامة ومن شؤون تنظيم البلاد ، والأعمال ، مما يوجب التفرُّغ لها ، وإلقاء تكاليف التجارة وأعمالها ، وأموالها إلى أهلها من التجار ، الذين حذقوا فيها وتمرنوا ، على مزاولتها ، وأقاموا أنفسهم مقام الموظفين للحكومة في حسن تدبيرها وتثميرها ، فمن واجب الحكومة أن تحيل التجارة بكمالها إلى التجار العارفين بسياستها ، وصيانتها ، وللحكومة الرقابة عليهم في المخالفة ، وبذلك تستريح الحكومة من أعباء تكاليف حملها ومسؤوليتها ، وعلى الحكومة حماية التجارة ، وتعزيزها ، ومساندة أهلها ، بمساعدتهم بالقروض المضمونة في جلب كل ما تحتاجه البلاد ، وتوجيههم بداعي التنشيط إلى ذلك ، ثم يستمر عملهم ، واستيرادهم لتجارتهم ، فالأصل هو عدم جواز تدخل الحكومة في تولي التجارة أو التسعير ، لأن الله هو المسعّر القابض الباسط ، كما ثبت بذلك الحديث ، ومثله قوله : «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض» .

أما تولي الحكومة للتجارة ، أو استيراد المعيشة ، وسائر ما يحتاجه الناس ، ثم تتولى بيع هذه الأشياء بواسطة الوكلاء ،

ومن تحت الوكلاء، وكلاء. فلا شك أن هذا نوع من التأميم الذميم، إذ ليس من شأن الحكومة مزاحمة التجار في تجارتهم، إذ الحكومة حكومة، والتجار تجار، ولأن في هذا العمل بهذه الصفة، إضراراً بليغاً بالتجار، إذ هو عبارة في عزلهم عن عملهم، وانقطاع كسبهم الذي عليه مدار تجارتهم، ومعيشة أهلهم وعيالهم، فيبقون كسالى حيارى، فيكثر بسببه همّهم، وغمّهم، والتلاوم فيما بينهم. ثم يكثر كلامهم في الحكومة، وما عملت معهم.

ولو فرضنا أن للحكومة مقصداً حسناً في تولي المستوردات من الأطعمة وغيرها، وأن قصدها التسهيل في أسعارها، فإن هذا قصد حسن، وفي إمكان الحكومة تنظيمه مع التجار بما يسمونه دعم السلع من الحكومة بالنقود، حسبما تعمله بعض الحكومات مع رعاياها في الأطعمة الضرورية.

أما قصد الحكومة في بيع ما تستورده من الأطعمة، بأقل مما يبيع به التجار، أو بأقل مما اشتري به في بلده، فهذا أيضاً ضار بالتجار، إذ فيه نوع تحد للتجار، بأن يبيعوا سلعهم بأقل من ثمنها عليهم، أو بأقل من ثمن المثل، وهذا فيه ضرر بليغ عليهم، إذ الحكومة لا يضرها الإسقاط من

الثمن، بخلاف التاجر، فإنه يضره ذلك، أو تكسد سلعته عنده.

ثم إن الحكومة في توليها لجلب هذه الأطعمة وغيرها، ثم توزيعها في المحلات المستأجرة، ونصب وكلاء، ومن تحتهم وكلاء على بيعها، وقبض ثمنها، فإن هذا المال والحالة هذه، مال ضائع، تتلاعب به أيدي الضياع، لكون مال الحكومة غير محترم عند الناس، ولا يتولى حفظه وليّ مصلح، فهو يذهب جفاء، هذا لكم، وهذا أهدي إليَّ.

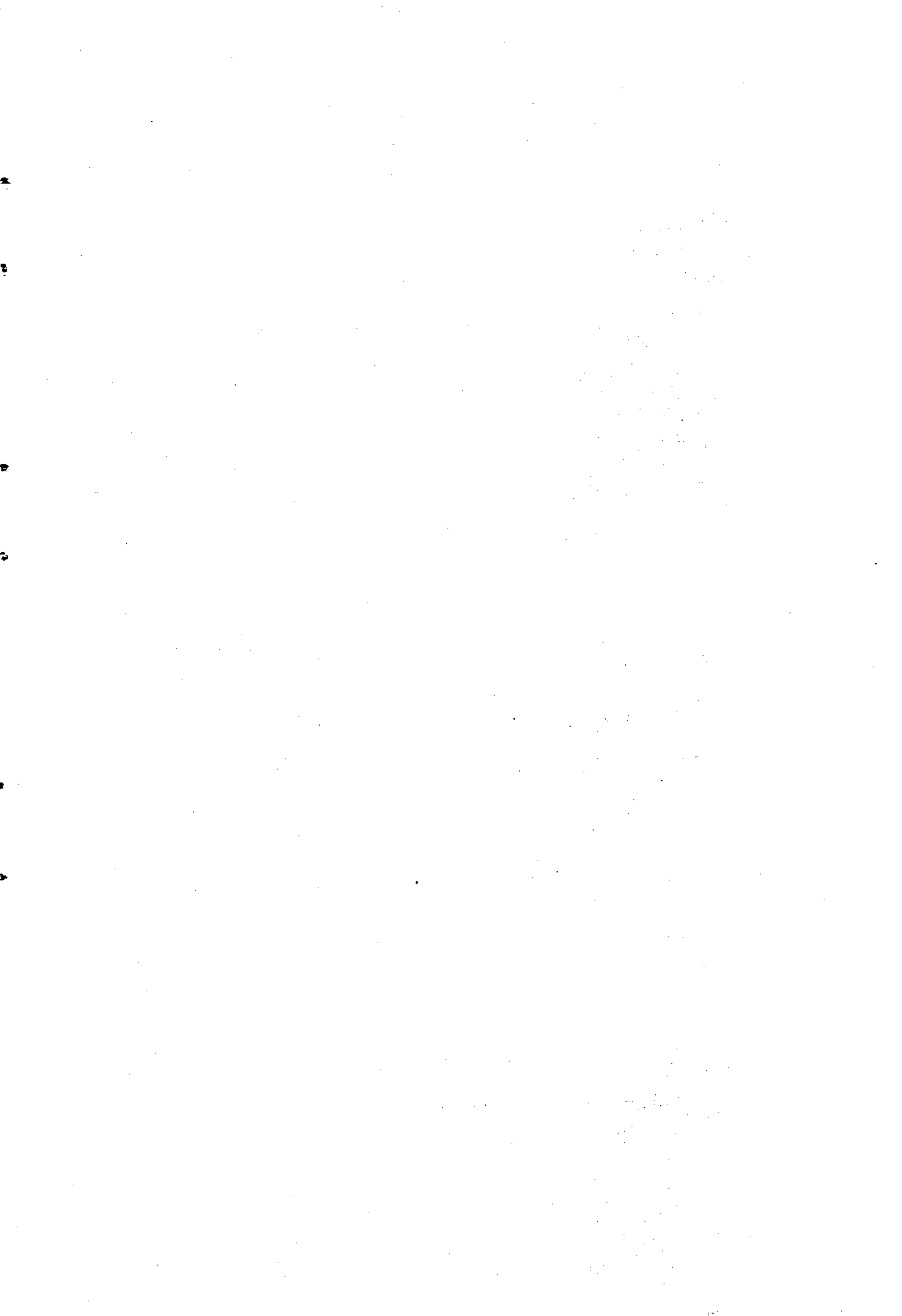
ثم انه بطريق المشاهدة والحس، نرى البلدان التي قبض حكامها زمام تجارتها، والمستوردات فيها، وقضت بالحجر والتضييق على التجارات، والتجار، رأيناها قد تقلص عنها ظل الرخاء، والهناء، وابتليت بالمساغب والتعب، والغلاء، وعدم وجود أكثر الحاجات، لكون البلد المحجور على أهلها في التجارة، لا يقصدها الناس ببيع سلعهم، ولا للشراء منها، فتبقى في معزل عن الهناء والرخاء والراحة.

ومما يحقق ذلك، أن عالماً فاضلاً من أهل البلاد، حدثني بأنه سافر إلى إحدى المدن الاشتراكية العريقة في الحضارة على سبيل حضور مؤتمر ينعقد بها، قال: فنزلنا في

فندق، وعند الصباح طلبنا من مدير الفندق أن ياتينا ببيض، فاعتذر من عدم وجوده. وقال: إنه يباع بالبطاقة، فلا يوجد عندنا إلا في الأسبوع ثلاثة أيام أو قال: أربعة أيام. فمتى كان هذا العدم، والتقتير في البيض الذي يتلاعب الصبيان بأقفاصه عندنا، فما بالك بغير البيض من لحاجات الراقية، إذ هي أشد عَدَماً، لكون الحجر والتضييق على التجارة والتجار، مدعاة إلى الشؤم والفشل، ومحق الرزق. فدعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض.

نعم، إنه يجب على الحكومة مراقبة التجار في الشيء الزائد على المعتاد، أو في احتكار الطعام وقت شدة حاجة الناس إليه، والحكم يدور مع علته، ويزول بزوالها. والمقصود: أنه ينبغي تنشيط التجارة لتقوى، ولن يتم ذلك، حتى ينفك عنها حصار الحجر، وحتى تكون حرّة في التوريد والتصدير، لأنها متى أخرجت شيئاً، استوردت ما هو أكثر منه من الخارج، وبذلك تقوى وتنشط، وتزداد نمواً وربحاً، كما قيل:

أرى المـال مثـل الماء يخبـث راكـداً
ويـزكـيـه الاسـتـعمـال والأخـذ والـرد



المقارنة بَين عَمَل مُلوك العَربْ المسْلمين

وَبَين عَمَل زعمَاء الإشتراكيين

إنه قبل كل شيء، يجب علينا أن نكون قوّامين لله، شهداء بالقسط، فيما لنا وعلينا، ولنعمل حلقة للتافضل بين حكام العرب المسلمين، وبين زعماء الاشتراكيين، حتى يتبين لنا بها الصادق في قوله وعمله، من الكاذب المهين.

إن حكام المسلمين، يعتقدون حرمة أموال الغير، وحرمة التعدي عليها بأخذها بغير حق.

أما الأموال التي أخرجها الله لهم من أرضهم، من ينابيع البترول، وغيرها من خزائن الأرض، ومن الذهب والفضة. فإنهم يعتقدون أن هذا المال الذي أخرجه الله لهم، هو فضل من الله، ساقه إليهم، واستخلفهم عليه، لينظر كيف يعملون فيه. فهم يقولون فيه مقالة المؤمن الشاكر

﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾[1] ولا يقولون مقالة الكافر الجاحد ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾[2]، أي على حذق مني بكسبه حتى كثر ووفر.

فهم يعتقدون بأنهم مستخلفون فيه، والله ناظر كيف يعملون. فلننظر إلى عمل حكام المسلمين وتصرفهم فيما استخلفوا فيه، لهذا نراهم قد عملوا مشيد العمران، وشواهق القصور والبنيان، التي قاموا بإنشائها من أصلها، وخصصوها للضعفة من الفقراء والمساكين، على سبيل العطاء، أرضها وبنائها.

وتسمى بالبيوت الشعبية، وقد بنيت على طراز واحد بالمسلح، ومساحة أرض البيت، تسع بيوتاً نظراً لعائلة الشخص من بعده، وهي تماثل في مبناها ومعناها بيوت الرؤساء والتجار، مزودة بالماء والكهرباء، وسائر وسائل الراحة والرفاهية، ثم تدفع مفاتيح البيت إلى هذا الفقير

---

(١) سورة النمل: ٤٠.

(٢) سورة القصص: ٧٨.

الذي لا يحلم بمثله، وربما دفعوا له نقوداً تقوم بكفاية بناء البيت، على حسب رغبته في تنظيمه.

وهذه البيوت، تعد بالآلاف في كل بلد. ولا يزالون مستمرين في عمل هذا التنظيم، ثم لا تزال تعمل عملها في إعطاء المتخلفين عن السابقين بدون سآمة أو ملل.

أضف إلى ذلك، إجراء الرواتب الشهرية إلى الضعفاء من الفقراء، والمساكين، والمقعدين، وبعض الأغنياء، حتى عم الغنى سائر القرى من البلدان العربية، ولا زلنا نحب منهم الزيادة في رواتب المقلّين من أجل شدة المؤنة، وغلاء المعيشة.

ولم يقتصروا على مساعدة الفقراء فحسب، بل ساعدوا الأغنياء على المشاريع النافعة، وبقروض الملايين إلى مدة طويلة المدى، لينعشوهم وينشطوا تجارتهم.

كما أنهم لم يقتصروا بفضلهم على رعاياهم فحسب، بل مدّوا يد العون والمساعدة إلى كل من يمت لهم بقرابة الإسلام من البلدان الغريبة البعيدة بالمساعدات الجزلة، مع قيامهم بتأسيس المشاريع الخيرية من المساجد وغيرها. ينفقون فيها

من فضل ما آتاهم الله من فضله.. فهذا عمل حكام المسلمين.

فبالله، قل لي: ماذا عمل زعماء الاشتراكية الماركسية، حين استولوا على أموال المؤمنين والمؤمنات، وأموال جميع الناس ومصانعهم، وأموال البنوك والشركات، وأموال الأغنياء والأوقاف، وأموال اليتامى والعجزة، وهل بنوا لأحد منها داراً؟ أو قرروا لأحد معاشاً يقوته وينقذه عن الهلاك، وما أخالهم فعلوا، بل هم كرماء بالكلام، يمصون دماء الأغنياء والفقراء، ثم يلوّحون لهم بكلمات العطف واللطف، فيقولون: هذا زمان الهدم، وسيأتي زمان البناء. ثم يستمر الهدم ويتزايد حتى يتقاضاهم الفناء.

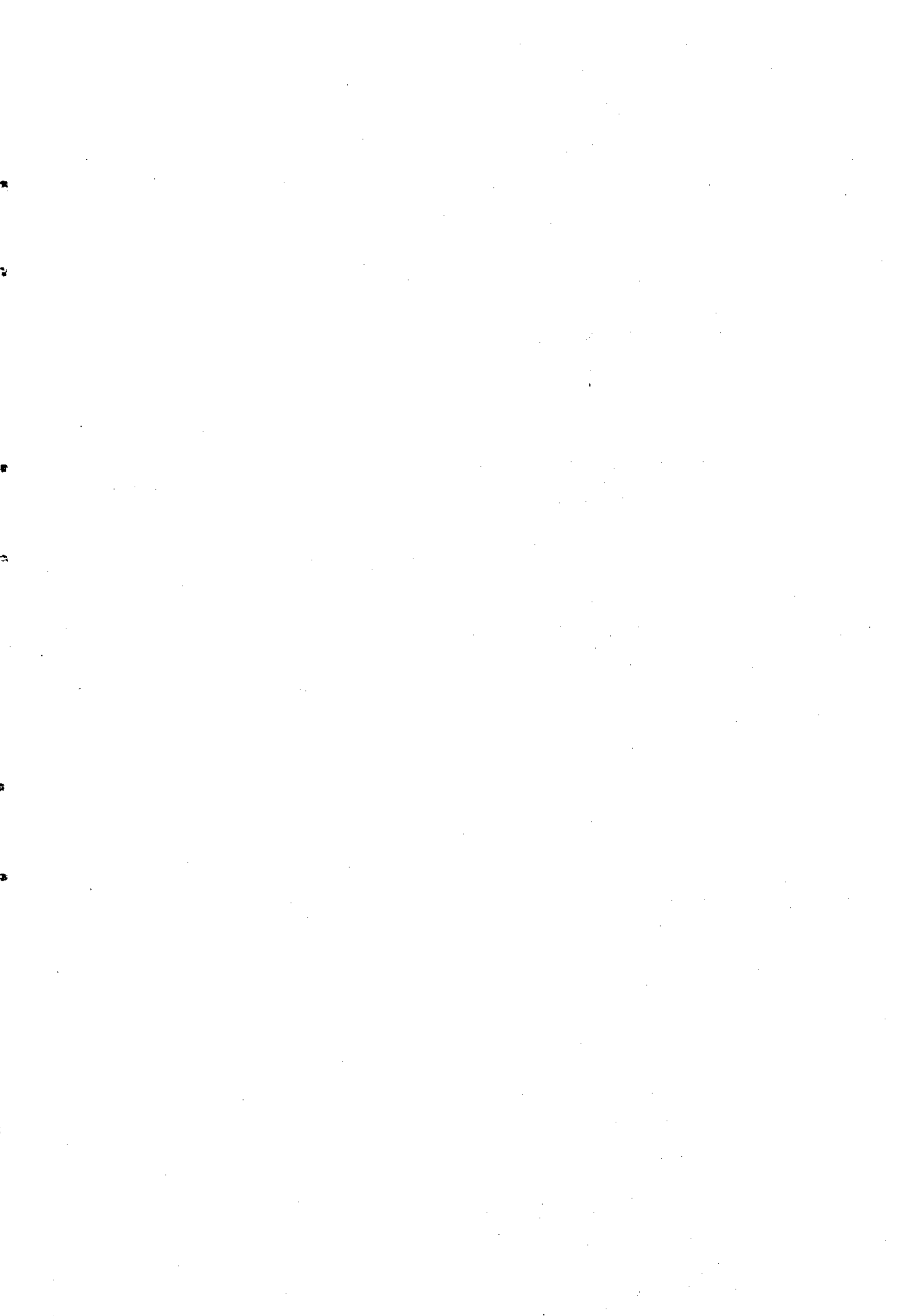
فليقابل العاقل بين عمل حكام المسلمين، وبين عمل زعماء الاشتراكية حتى يتبين له الفرق بين المحقين والمبطلين، وبين المحسنين والمسيئين.

أولـئـك أقـوامـي فـجـئني بمثـلهـم
إذا جمـعـتـنـا يـا جـريـر المجـامـع

ولسنا نقول بعصمة حكام المسلمين عن الخطأ والآثام،

ولا أنهم عمّموا الناس بالغنى العام، فإنه لن يغني الناس سوى رب الناس ورضى جميع الناس غاية لا تدرك، فنحن نشكر لهم فعل الجميل، من صغير وكبير، ونلومهم على التقصير، لأننا من المنصفين الذين يغتفرون قليل خطأ أصحابهم في جنب كثير من صوابهم.

أقلوا عليهم لا أباً لأ بيكمُ
من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك إن بنوا أحسنوا البُنا
وإن عاهدوا وفّوا وإن عقدوا شدوا



شكر نعمة الغنى بالمال

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبدوه، وركب فيهم العقول ليعرفوه، وأسبغ عليهم نعمة ظاهرة وباطنة ليشكروه، والله يجازي كل من شكره بالمزيد ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[1]، فبالشكر تزيد النعم وتدوم، وبتركه تسلب وتزول، فالشكر قيد النعم، والمعاصي من أسباب حلول النقم، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

وليس الشكر مقصوراً على قول أحدكم: الشكر لله، فإن هذا الكلام لا نزال نسمعه من لسان كل إنسان، ينطق به البر والفاجر، والجاحد والشاكر والله يقول: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[2].

---

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) سورة سبأ: ١٣.

وإنما حقيقة الشكر: الاعتراف بالنعمة باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وصرفها في مرضاة وليّها ومسديها، فمن أنعم الله عليه بنعمة الغنى بالمال، فعنوان شكره: هو القيام بواجب حق الله فيه، من أداء زكاته، ومن الصدقة منه، والصلة لأقاربه، والنفقة في وجوه البر والخير الذي خلق لأجله، فإن هذا هو حقيقة شكره المستلزم لنموه وبركته، مع النفقة منه على الأهل، والعيال، والتجمل منه بأنواع الزينة المباحة، والمسكن، لأن هذا من النفقة بالمعروف، والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. لأن الله جميل يحب الجمال طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة.

إن الناس مستخلفون في الدنيا على أموالهم، والله ناظر كيف يعملون، فمن أخذ هذا المال من حله، وأدى منه واجب حقه، فنعم المعونة هو، وكان له حسنات ورفع درجات في الجنات.

ومن أخذه من غير حله، ومنع منه واجب حقه، كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون عذاباً عليه في الدنيا، وعقاباً له في الآخرة، يقول الله: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا

أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾[1].

إنه ما أنفق أحد نفقة في سبيل الزكاة والصدقة، والصلة وسائر الأفعال الخيرية، إلا أخلفها الله عليه بأضعاف مضاعفة ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾[2]، فلو جربتم لعرفتم، فقد قيل: من ذاق عرف، ومن حرم انحرف. وما بخل أحد بنفقة واجبة في سبيل الحق، من زكاة، وصدقة، وصلة، إلا سلطه الشيطان على نفقة ما هو أكثر منه في سبيل الباطل.

فكسب المال من حله، ثم الجود بأداء واجب حقه، يعد من مفاخر الدنيا، وإنه لنعم الذخرى للأخرى، فقد ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلى، ونعم المال الصالح للرجل الصالح، فجميع ما أوجد الله في الدنيا من الذهب والفضة، والمعادن الجامدة والسيالة، والبترول، والحيوانات، والثمرات، وسائر الفواكه والخيرات، كل هذه خلقها الله كرامة ونعمة للإنسان، ليتنعم بها في حياته، ويتمتع بها إلى

---

(١) سورة التوبة: ٥٥.

(٢) سورة سبأ: ٣٩.

ما هو خير منها لآخرته، يقول الله: ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾[1]. وقال: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾[2].

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا
وما أقبح الكفر والإفلاس في الرجل

فأمر الله عباده بأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، أي من الحلال النافع، حسن العاقبة، ولا يطغوا فيه، والطغيان: هو مجاوزة الحد في السرف والترف، والفسوق والعصيان، وذلك بأن يستعينوا بنعم الله على معاصيه، أو يستعملوها في سبيل ما يسخطه ولا يرضيه، فيحملهم الغنى بالمال على الوقوع في الطغيان، وصدق الله العظيم ﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى. إن إلى ربك الرجعى﴾[3].

---

(١) سورة العنكبوت: ١٧.
(٢) سورة طه: ٨١.
(٣) سورة العلق: ٦-٨.

فكل ما تسمعونه في القرآن، أو في الحديث، من ذم الدنيا، أو ذم المال، فإنما يراد به ذم أفعال بني آدم السيئة في المال، لأن أفعال الناس تقع غالباً على الأمر المكروه أو الحرام، من أكلهم الربا، وشربهم الخمور، وتوسعهم في أعمال الشرور والفجور، فالذم ينصرف إلى هذه الأعمال، لا إلى نفس المال، وإذا قال الإنسان: لعن الله الدنيا. قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه، لأن الله جعل الدنيا منحة لأقوام، ومحنة على آخرين، وسعادة لأقوام، وشقاوة على آخرين، وقد سمى الله المال خيراً لمن أراد به الخير.

فالمال هو من الزينة التي أخرجها الله لعباده، كرامة لهم ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[1]، فسمى الله المال زينة، لأنه يزين صاحبه في العيان، ويجمله بين الأقران، ويحفظه عن السقوط في الذل والهوان، وهو ترس المؤمن في آخر الزمان، ولا يستغني عنه في حال من الأحوال، وإن الكريم على الإخوان ذو المال.

---

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

مع العلم أنه لا غبطة بكثرة المال، وإنما الغبطة في استعمال المال فيما خلق له من صالح الأعمال، كما قيل:

فتى لا يـعـدُّ المـال رَبـاً ولا يُـرى
لـه جـفـوة إن نـال مـالا ولا كـبُـر

إنه ما بخل أحد بالزكاة الواجبة، إلا عالجته الحسرة والندامة قبل خروجه من الدنيا. فيندم حيث لا ينفعه الندم، ﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾[1].

وهنا قصة هي لنا بمثابة العظة والعبرة، وخير الناس من وعظ بغيره.

عاد الحسن البصري رجلاً يدعى عبد الله بن الأهتم، وكان تاجراً لكنه شديد البخل، فرآه يضطرب ويحوقل، فقال: ما هذا الاضطراب معك، أمن وجع تشتكيه؟ فقال: لا والله، ولكنني أفكر في مئة ألف دينار في زاوية هذه الدار، لم أؤد منها زكاة، ولم أصل منها رحماً، ولم أقم بواجب حق الله فيها، وقد عرفت أنني سأعذب بها، فقال له: ثكلتك أمك، ولمن كنت تجمعها وتمنعها!. قال: جمعتها

(١) سورة الفجر: ٢٤.

لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة، ثم إنه قدّر أن يموت من مرضه، فشهد الحسن جنازته، فلما أتى المقبرة ألقى الموعظة على حسب عادته في نشر الحكمة والموعظة الحسنة.

فقال: انظروا إلى هذا المسكين، أتاه شيطانه، فخوفه روعة زمانه، وجفوة سلطانه، انظروا إليه، خرج من الدنيا مذموماً مدحوراً، لا خيراً قدمه، ولا إثماً سلم منه. ثم التفت إلى الوارث فقال: أيها الوارث: لا تخدعنَّ كما خدع صاحبك بالأمس، إن هذا المال أتاك حلالاً، فلا يكونن عليك وبالاً، وأتاك عفواً صفواً ممن كان جموعاً منوعاً من باطل جمعه، وعن حق منعه، قطع فيه لجج البحار، ومفاوز القفار، لم تكدح لك فيه يمين، ولم يعرق لك جبين، واعلم أن يوم القيامة ذو حسرات، وأكبر الناس حسرة، رجل رأى ماله في ميزان غيره، سعد به وارثه، وشقي به جامعه، فيا لها حسرة لا تزال، وعثرة لا تقال.. انتهى.

وأنه ما بين أن يثاب الإنسان على الطاعة والإحسان، أو يعاقب على الإساءة والعصيان، إلا أن يقال: فلان قد مات، وما أقرب الحياة من الممات. وكل ما هو آت آت.

إن الناس عند استفادة الغنى على أقسام:

منهم البخيل المقتّر، ومنهم السفيه المبذر، ومنهم الوسط المقتصد، الغني الشاكر، وخير الأمور أوساطها. أما البخيل المقتّر: فهو التاجر الجموع المنوع، الذي غمره الله بنعمته، وفضله بالغنى على كثير من خلقه، ثم يجمد قلبه على حب ماله، وتنقبض يده من أداء زكاته، ومن الصدقة منه، والصلة لأقاربه، والنفقة في وجوه البر والخير الذي خلق لأجله، قد التاط قلبه بحب الدنيا، فجعلها أكبر همه، وغاية قصده، وصرف إليها جل عقله، وجل عمله، وجل اهتمامه، وترك لأجلها فرائض ربه، ونسي أمر آخرته، ولم يزل ذاك دأبه، حتى يخرج من الدنيا مذموماً مدحوراً، لا خيراً قدّمه، ولا إثماً سلم منه، وربما كان يحدّث نفسه في حال فقره: أن لو أغناه الله لأنفق وتصدق وأدى زكاة ماله، فلما حقق الله آماله، وكثر ماله، فرَّ ونفر، وبخل واستكبر، فهذا بالحقيقة فقير لا يؤجر على فقره، قد أوقع نفسه في الفقر من مخافة الفقر، فكان جموعاً، منوعاً، هلوعاً، جزوعاً. فلا ينبغي أن يُغبط بكثرة ماله، مع العلم بفساد أعماله، إذ هو أخ قارون في كثرة ماله، وفساد أعماله.

خُلقوا وما خُلِقوا لمكرمة
فكأنهم خُلقوا وما خُلقوا
رُزقوا وما رُزقوا سماح يد
فكأنهم رُزقوا وما رُزقوا

فمن رزقه الله من هذا المال رزقاً حسناً، فليبادر بأداء زكاته، ولينفق منه سراً وعلناً، حتى يكون أسعد الناس بماله، فإن مال الإنسان ما قدَّم.

إن الله سبحانه قص علينا في كتابه الكريم، خبر من أنعم عليه بالغنى، فشكر، وخبر منِ أنعم عليه بالغنى، فطغى واستكبر، فقال سبحانه في حق الغني الشاكر ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار. ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله﴾[1] ، أي من سعة الدنيا وبركتها. قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: كان القوم، يعني كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون، ولكنهم إذا نابهم أمر من أمور الله، أو حضرت فريضة من فرائض

(١) سورة النور: ٣٧-٣٨.

الله، بادروا بأدائها إلى الله، ولم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فحصلوا الحسنتين، وفازوا بالسعادتين، سعادة الدنيا، وسعادة الآخرة، فكانت أعمالهم بارَّة، وأرزاق الله عليهم دارَّة ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾.

أما من أنعم الله عليه بالغنى، فطغى واستكبر، فقد قال الله في حقه: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[1]. إن هؤلاء في حالة فقرهم على جانب من الصلاح والاستقامة، ويحافظون على الصلوات في الجمع والجماعة، وكانوا في حالة فقرهم يعاهدون ربهم أن لو أغناهم الله لأدّوا زكاة أموالهم، وأنفقوا وتصدقوا، فلما حقق الله آمالهم، وكثر مالهم، فروا واستكبروا، وبخلوا بما آتاهم الله من فضله، فتركوا الصلوات، ومنعوا الزكاة فأنزل الله فيهم ما تسمعون ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[2].

(١) سورة التوبة: ٧٥-٧٧.

(٢) سورة التغابن: ١٦.

فالمال لا يكون سعادة في الحياة، ولا حسنات بعد الوفاة، إلا إذا سلك به صاحبه مسلك الاعتدال، بأن يأخذه من حله، ويؤدي منه واجب حقه، فيكون نعم المال الصالح للرجل الصالح، والتاجر الصدوق الأمين، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

أما السفيه المبذر: فهو الذي أصاب من هذا المال جانباً كبيراً، وعدداً كثيراً، ولكنه أساء التصرف في استعماله، حيث حمله على الطفور والطغيان، وعلى مجاوزة الحد في السرف والترف، والفسوق والعصيان، لم يزل تاركاً الصلاة، عاكفاً على اللذات، وشرب المسكرات، ينفق المال جزافاً في سبيل البذخ والشهوات، والتفنن في المأكولات، والتأنف في المركوبات، ولم يزل ذلك دأبه، حتى يصبح صفر اليدين، مطوّق العنق بالدين، قد بدّل نعمة الله كفراً، وأحل بغناه دار البوار.

ومن المشاهد بالإعتبار، أن المسرفين المبذرين، يصابون بالفقر قبل أن يموتوا، لأن إنفاقهم المال في سبيل الإسراف والتبذير، وعدم حسن التدبير، مؤذن بزواله، ثم الوقوع في ضده ـــ أي الفقر ـــ الذي استعاذ منه النبي ﷺ وقال:

«اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة»[1]. فما افتقر من اقتصد.

فدين الإسلام: هو دين تثمير الأموال وحفظها، وتوسعة التجارات من سبيل حلها، ومنع الإسراف والتبذير لها.

يقول الله: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾[2]. أي تقوم بها أبدانكم، وتقوم بها بيوتكم، ويقوم بها مجدكم وشرفكم.

والسفه: خفة في الرأي، علامته، كونه لا يحسن تثمير ماله ولا توفيره. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾[3]. فجعل المبذرين من إخوان الشياطين دليلاً على مهانتهم، ومذلتهم، ومذمتهم، لأن الشياطين هم الذين يبطرون نعمة الله ولا يشكرونها ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾[4].

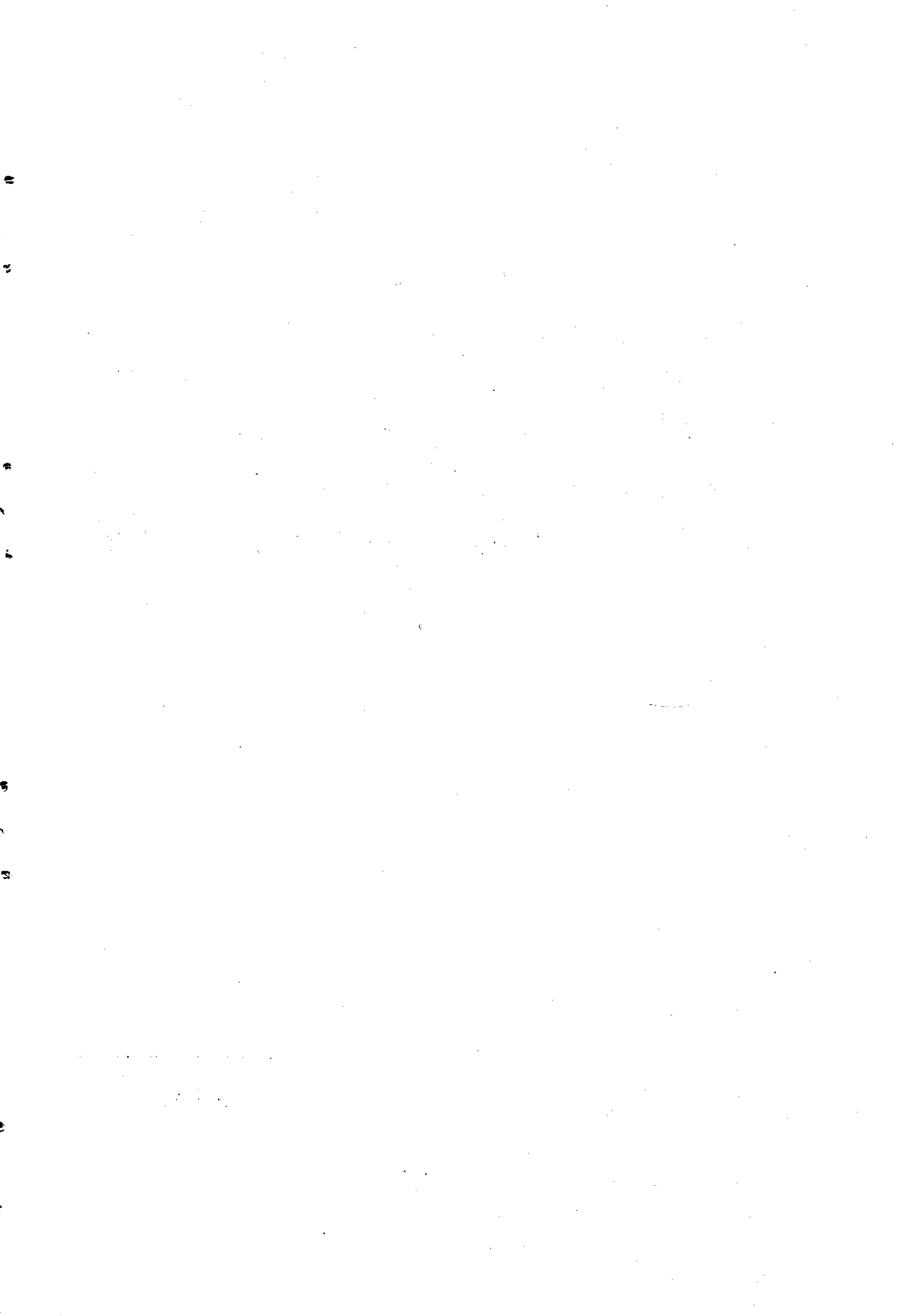
---

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود.
(٢) سورة النساء: ٥.
(٣) سورة الإسراء: ٢٦-٢٧.
(٤) سورة النساء: ٣٨.

فلا تكونوا مثل هذا السفيه المبذر، ولا مثل ذاك البخيل المقتِّر، ولكن مثل الوسط المقتصد، الغني الشاكر، الذي آتاه الله النعمة فعادت عليه بالسعادة والرحمة، ساسها بالرأي والتدبير، وصانها عن الإسراف والتبذير، وعاد بأداء زكاتها وبالصدقة منها على الفقير والمسكين، وعلى الرحم واليتيم، فزكت نعمته وزادت، وثبتت ودامت، فكان عمله باراً، ورزق الله عليه داراً: ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾[1]. والله أعلم.

---

(١) سورة الزمر: ١٨.



دينُ الإسْلام

ليسَ بدين رأسمَالي وَلا بدين إشتراكي

إن دين الإسلام هو دين كامل، وشرع شامل، دين الحق الذي نظم حياة الخلق أحسن نظام، بالحكمة والمصلحة والعدل والإحسان. صالح لكل زمان ومكان. وقد سمّاه الله رحمة للعالمين. لأن فيه محض سعادتهم في دنياهم وآخرتهم. فلو أن الناس آمنوا بتعاليمه، وانقادوا لحكمه وتنظيمه، ووقفوا عند حدوده ومراسيمه، لصاروا به سعداء، لأن الله سمَّاه هدى وشفاء، أي لعلاج عللهم وإصلاح مجتمعهم ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾[1].

هو الإسلام ما للناس عنه
إذا ابتغوا السلامة من غناء

---

(١) سورة فصلت: ٤٤.

إذا انصرفت شعوب الأرض عنه
فبشر كل شعب بالشقاء

إن الله سبحانه قص علينا في كتابه خبر من أنعم عليه بالغنى فشكر قائلاً: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾[1]، وخبر من أنعم عليه بالغنى. فطغى واستكبر، قائلاً: هذا مالي أوتيته على علم عندي، أي على معرفة وحذق بجمعه وكسبه حتى كثر ووفر.

وكما قص علينا خبر من طغى وتكبر، وصال على الناس وتجبر، فاستباح سلب أموال الأغنياء بلا حق. يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب المفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾[2].

إن هذا القرآن بلاغ للناس ولينذروا به، ففيه نبأ ما

---

(١) سورة النمل: ٤٠.
(٢) سورة القصص: ٧٦-٧٧.

قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، وهذه القصة سيقت مساق العظة والعبرة، لينذر بها من كان حياً ويحق القول على الكافرين، سيقت في بيان سيرة قارون وفساد سريرته، وبيان كثرة ماله وفساد أعماله، وكيف حقت عليه كلمة العذاب ببغيه وطغيانه. فأخبر الله سبحانه أن قارون كان من قوم موسى، وقيل إنه ابن عمه، وقيل إنه ابن خالته، وكان فيما زعموا صالحاً في بداية عمره، ويسمى المنور لجمال وجهه، فلما كثر ماله نافق وطغى، وارتد وبغى، وصدق الله العظيم: ﴿ كلاً إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى، إن إلى ربك الرجعى ﴾[1].

جاءه نبي الله موسى ــ عليه السلام ــ برسالة من ربه، يدعوه إلى دينه بالحكمة وبالموعظة الحسنة، ففر ونفر وعصى واستكبر، وكان له جنود وأتباع، وصاحب المال مطاع، فحاول قارون الفتك بنبي الله موسى، وأظهر البغي عليه ليقطع دابره، حسداً له على نعمة رسالة ربه.

والبغي مصرعه وخيم، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيه.

---

(١) سورة العلق: ٦-٨.

قضى الله أن البـغـي يـصـرع أهـلـه
وأن على الـبـاغـي تـدور الـدوائـر

يقول الله: ﴿ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ﴾[1]، يعني أن بغي الباغي، تعود سوء عاقبته عليه في الدنيا قبل الآخرة، بمعنى أنها تعاجله العقوبة، ويسلط عليه من ينتقم منه، عقوبة له حتى لو بغى جبل على جبل لتدكدك الباغي.

وفي الحديث «ما من ذنب أجرى من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»[2] والبغي أحياناً يكون بالأقوال، كأن يستطيل عليه بسبه وذمّه ليذله بين الناس، وأحياناً يكون بالأفعال، كأن يستطيل عليه بضربه أو قتله أو أخذ ماله أو فساد زوجته عليه، ونحو ذلك من فنون الأذى والعدوان.

---

(١) سورة يونس: ٢٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم عن أبي بكرة، قال الحاكم: صحيح وأقروه.

ومن أنواع البغي، تسلط زعماء الاشتراكية الماركسية على سحب أموال الأغنياء منهم، ليجلسوهم على حصير الفاقة والفقر، بدل ما يتنعمون هم وأعوانهم بأكل أموالهم، يحاولون بذلك محو الغنى عن المنعم به عليهم، ثم مساواة الناس في الفقر، الذي من لوازمه الخراب والدمار، ونقص الأرزاق والثمرات، وغلاء الأسعار، فهم الجناة على العباد والبلاد. فعملهم هو حقيقة في الفساد في الأرض والله لا يحب المفسدين.

في صحيح مسلم[1] أن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». ثم قال: «وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة» فأخبر الله سبحانه عن قارون بأنه مع كفره وعصيانه، وبغيه وطغيانه، إن الله أرخى له العنان في فنون البغي والعدوان، وأعطاه من كنوز الأموال على اختلاف الأنواع والألوان، ما يعجز العصبة الأقوياء عن حمل مفاتيحه، سواء قلنا: أن المفاتيح من حديد أو من خشب أو من جلود، وحسبنا تنويه القرآن بعظمتها، مما يدل على عظمة

---

(١) في صحيح مسلم من حديث عياض ابن حمار.

المخزون بها، وهو استدراج من الله له في سعة الرزق وبسطته، لأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب.

وإذا رأيت الله سبحانه وتعالى يسدي نعمه على الشخص، والشخص مُصِر على معصية ربه، فاعلم إنما هو استدراج من الله له. يقول الله: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾[١].

ولما رأى الناصحون الصالحون من قوم موسى، ما فعله قارون من الظفور والطغيان، ومجاوزة الحد في البغي والعدوان، أخذوا في وعظه ونصحه، لأن بقاء الأمم من قديم الزمان وحديثه، ببقاء الصالحين الناصحين، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولأن إنكار المنكرات هو مما يقلل فشوها وانتشارها..

يقول الله: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية

---

(١) سورة الأنعام: ٤٤-٤٥.

يهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾[1].

ولهذا قالوا في نصيحتهم وإرشادهم: (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) فالفرح المذموم هو الذي يفضي بصاحبه إلى الأشر والبطر والفجور والغرور، وغالباً ما ينشأ عن الزهو بالدنيا وزينتها. وكان النبي ﷺ إذا رأى شيئاً من زهرة الدنيا وزينتها فأعجبه قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» وقال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

ثم قالوا: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ يعني أن من وسَّع الله عليه بالغنى بالمال، فإن من واجبه أن يتزود من دنياه لاخرته، يعني مال الإنسان ما قدم. وفي الحديث يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب، وتاركه للورثة، والدنيا مزرعة الآخرة، تزرع فيها الأعمال الصالحة،من خرج منها فقيراً من الحسنات

(١) سورة هود: ١١٦.

ورد على الآخرة فقيراً وساءت مصيراً.

أما من وسع الله عليه بالغنى بالمال، فجعله أكبر همه وصرف إليه جل عقله، وجل عمله، وجل اهتمامه، وترك لأجله فرائض ربه، ونسي أمر آخرته فهذا بالحقيقة فقير لا يؤجر على فقره، قد خسر دنياه وآخرته، أتاه شيطانه فخوَّفه روعة زمانه وقلة ماله، فغل يده ومنع ما عنده ولم يزل ذلك دأبه حتى يخرج من الدنيا مذموماً مدحوراً لا خيراً قدَّمه، ولا إثماً سلم منه، فهو عبد درهمه وديناره. وفي الحديث «تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم». وسيندم حيث لا ينفعه الندم، حين يقول: ﴿ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه﴾ وحين يقول: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾. وأنه ما بين أن يثاب الإنسان على الطاعة والإحسان أو يعاقب على الإساءة والعصيان إلا أن يقال: فلان قَدْ مات وما أقرب الحياة من الممات، وكل ما هو آت آت.

ثم قالوا في تمام نصحهم وإرشادهم: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ لما وعظوه ونصحوه بما ينفعه في أمر آخرته، عادوا فنصحوه بما ينفعه في أمر دنياه، فقالوا: ﴿ولا تنس نصيبك

من الدنيا ﴾ قيل معناه: تزود من دنياك لآخرتك. وقيل: لا تنس نصيبك أي من الكسب والسعي وسائر أسباب الغنى، لأن دين الإسلام دين سعي وكد وكسب، يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، ومصالح الروح والجسد، يمدح القائلين ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ﴾ ونعم المال الصالح للرجل الصالح.

فالإسلام يأمر بكسب الأموال وحفظها، والتوسع في فنون التجارات من وجوه حلها. وفي الحديث «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين». ولما سئل النبي ﷺ عن أفضل الكسب قال: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»، وروي طلب الحلال فريضة بعد الفريضة، والله يحب المؤمن المحترف، ويبغض الفارغ البطال.

وكان بعض الأنبياء معدودين من الأغنياء كإبراهيم ويوسف وسليمان ــ عليهم السلام ــ وبعض الأنبياء يتكسبون بالحرف والصنائع والنبي ﷺ كان قبل النبوة يسافر بالمال إلى الشام.

وكان أصحاب رسول الله يتجرون، يبيعون ويشترون، ويبنون ويغرسون، ويسافرون للتجارة في البر والبحر، ولكنهم إذا نابهم أمر من أمور الله، أو حضرت فريضة من فرائض الله كفريضة الصلاة وفريضة الزكاة بادروا بأدائها إلى الله، ولم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله.

فليس من الدين أن يتخلى الإنسان عن المال وعن السعي والكسب للعيال، ويلزم زاوية من زوايا المسجد الحرام، أو مسجد المدينة، يتبتل فيه للعبادة وينقطع عن البيع والشراء والأخذ والعطاء، كما يفعله الرهبان وبعض الدراويش، فقد جاء أناس من الصحابة إلى النبي ﷺ يستأذنونه في أن يبيعوا عقارهم ومالهم ويشتروا بثمنها سلاحاً وخيلاً يجاهدون عليها في سبيل الله فنهاهم رسول الله عن ذلك وقال: «أمسكوا عليكم أموالكم ولا تفسدوها» وأراد بعض الصحابة أن يتصدق بماله كله، فردّ رسول الله صدقته، لأن المال ترس المؤمن في آخر الزمان، ولا يستغني عنه في حال من الأحوال، وأن الكريم على الاخوان ذو المال، وكل ما تسمعونه في القرآن أو في الحديث، من ذم

الدنيا أو ذم المال، فإنما يقصد به ذم أفعال بني آدم السيئة في المال لا المال نفسه، لأن الطاعة هي همَّة التقي، ولا يضره لو تعلقت جميع جوارحه بحب الدنيا، لكون المسلم يشتغل في الدنيا بجوارحه وقلبه متعلق بالعمل لآخرته، فيحصّل الحسنتين ويفوز بالسعادتين، فتكون أعماله بارة وأرزاق الله عليه دارّة ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾.

إن قارون قد مضى وانقضى وعوقب بما تسمعون فما كان جوابه لهؤلاء الناصحين الصالحين إلا أن قال: إنما أوتيته على علم عندي، أي على حذق ومعرفة بجمع المال وكسبه حتى كثر ووفر، ولم يقل: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾، وجحود النعمة مؤذن بزوالها، يقول الله: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[1]، ولهذا ذمَّه الله بقوله: ﴿أوَلم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾.

إن كل ما ورد في ذم قارون، وعقابه على كثرة ماله

---

(١) سورة إبراهيم: ٧.

وفساد أعماله، فإنه منطبق بالدلالة والمعنى، على كل من اتصف بصفاته وعمل بمثل أعماله، لأن الاعتبار في القرآن هو بعموم لفظه لا بخصوص سببه، فهو يتمشى على حد: إياك أعني واسمعي يا جارة، وخير الناس من وعظ بغيره، فهذا الوصف ينطبق على كل تاجر وسَّع الله عليه من صنوف نعمه وفضَّله بالغنى على كثير من خلقه، ثم يجمد قلبه على حب ماله وتنقبض يده من أداء زكاته، ومن الصدقة منه والصلة لأقاربه والنفقة في وجوه البر والخير الذي خلق لأجله، فمن كانت هذه صفته فإنه أخ قارون في كثرة ماله وفساد أعماله.

فبالله قل لي: كيف كان عاقبة أمره. أجبك بأن الله سبحانه أمر الأرض أن تخسف به وبماله، قال الله: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين. وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون: وي كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا وَيْ كأنه لا يفلح الكافرون﴾. خسف الله الأرض بقارون وبماله، وما الخسف ببعيد عن أمثاله من التجار، الذين جحدوا

نعمة الله عليهم، ومنعوا زكاة أموالهم ونسوا أمر آخرتهم، تسمع بعشرات الملايين أو مئات الملايين أو ألوف الملايين عند أحدهم، ولكنك لا تسمع بمن يؤدي الزكاة منهم، ثم سرت عدوى منع الزكاة من بعضهم إلى بعض، فهؤلاء إن لم يُخسف منهم بالأبدان، فإنه قد يخسف منهم بنور الإيمان، ومن المعلوم أن الخسف بالإيمان أضر من الخسف بالأبدان، فيبقى سيء الحال جموعاً منوعاً، يبغض الناس ويبغضونه، ولهذا ختم الله هذه الآيات بقوله: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾.

نسأل الله سبحانه أن يعمنا وإياكم بعفوه، وأن يسبغ علينا وعليكم واسع فضله، وأن يدخلنا برحمته في الصالحين من عباده، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، والله أعلم.

﴿وسبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين﴾.

المحتوى